

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

الموضوع:

سؤال الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة
الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي أنموذجا

إعداد الطالبتين:

-بوزيان صارة

-بوسهلة آمال

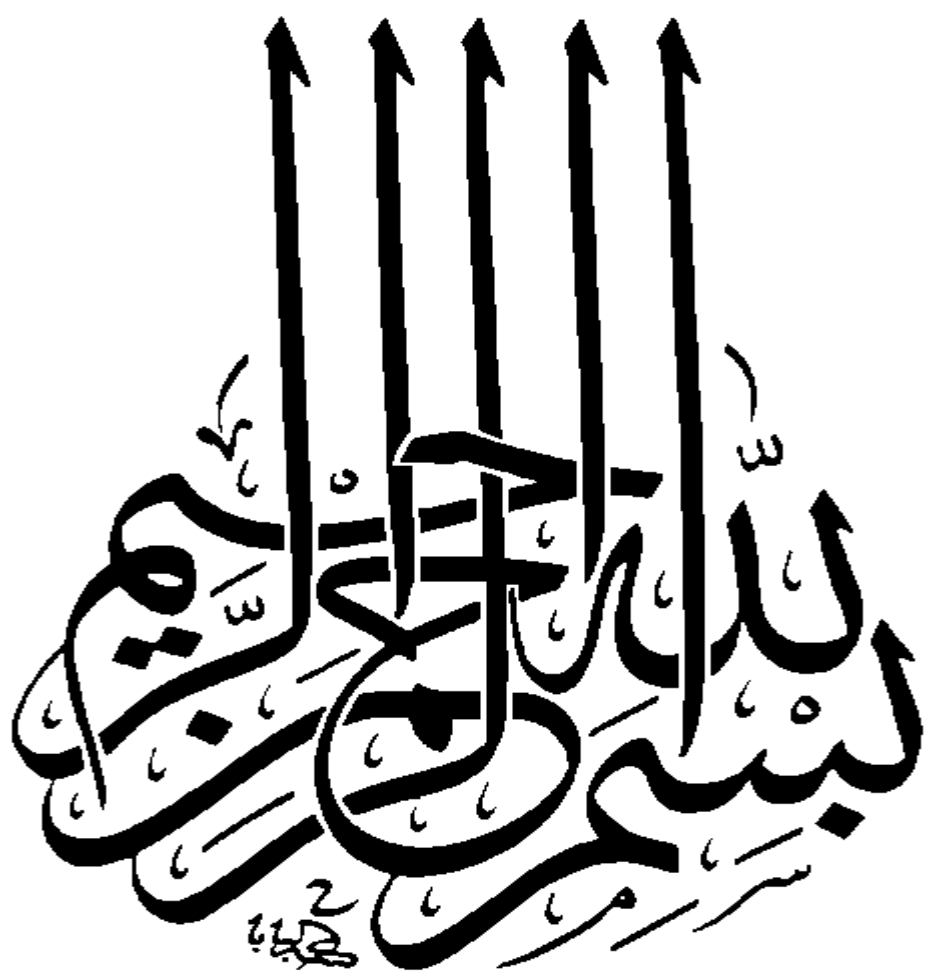
تحت اشراف:

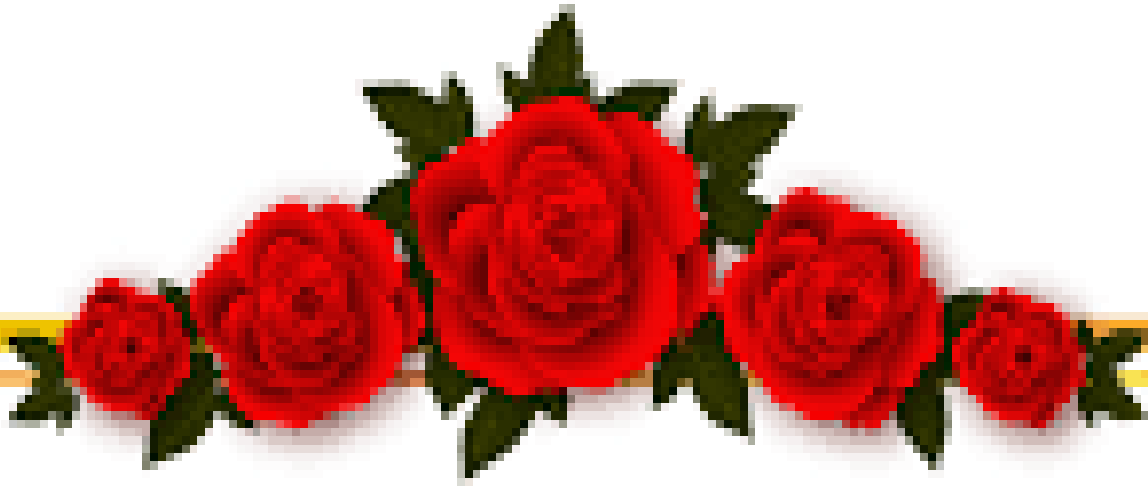
أ.د. عبد القادر بن عزة

لجنة المناقشة

رئيسا	أحمد بشيري	أ.الدكتور
ممتحنا	وردة محصر	أ.الدكتورة
مشرفا مقررنا	عبد القادر بن عزة	أ.الدكتور

العام الجامعي: 1443-1444هـ/2022-2023م





شكر وعرفان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله في الأولى والأخرة، الحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات، نحمدك على كل نعمة أنعمت بها علينا في الدنيا، يا
من جعلتنا نحظى بشرف إكمال دراستنا وشرف نيل شهادة
الماستر، اللهم إننا نعوذ بك من نسيان ذكرك، الانصراف عن
شكرك، لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين
سيدنا "محمد" رسول الله صل الله عليه وسلم.

وأيضاً نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور "عبد
القادر بن عزة" الذي تكفل بالإشراف على هذا العمل، وقد وجدنا
فيه خير سند فكري ومعنوي وكان حريصاً كل الحرص أن يظهر
هذا العمل في أفضل صورة ممكنة فجزاه الله كل الخير.



الإهداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من أمر الله بالإحسان إليهما

والبر بهما في الحياة وبعد الممات أُمي وأبي.

وإلى جميع أفراد أسرتي وإلى إخوتي "محمد وزكريا وياسين"

سندي في الحياة وأختي الغالية " لبنى " رفيقة قلبي وإلى رفيقاتي في الإقامة الجامعية " خيرة

وسهيلة وأمال ومريم وعائشة وإيمان" وإلى زملائي وزميلاتي و إلى كل من علمنا حرفا و

أهدانا نصيحة إلى كل من قدم لنا يد المساعدة.

راجين من المولى عز وجل السداد والنجاح والتوفيق.

آمال

الإهداء:

إلى نبع الحنان و الحياة إلى الشمعة التي تنير حياتي إلى التي تشقى لتسعدني
تعب لتريحني و تسهر لنومي إلى والدتي الغالية.

إلى رمز الأبوة و الشهامة أبي أطال الله في عمره إلى من علمني مبادئ الحياة
و قيمها و ضحى من أجلي و شجعني على مواصلة دراستي.

إلى من كانوا و لازالوا سنداً لي في الحياة "إخوتي" و "أخواتي".

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد إلى كل من وصلهم قلبي و لم
يكتبهم قلبي.

سارة

المقدمة

المقدمة:

تعتبر الرواية من أحسن الفنون النشر لما حظيت به من اهتمام الدارسين و الباحثين في الساحة الأدبية و النقدية، لأنها تعد شكلا من أشكال الوعي الإنساني كما لها تأثير كبير في المجتمع، فالرواية الجزائرية فن نثري طويل نسبيا بالقياس إلى فن القصة، و تعد الأكثر حداثة في الشكل و المضمون، و ظلت تزدهر و تتطور مع مرور الوقت، بحيث أنها تحتوي معظم مضامينها أبعادا وطنية بارزة و هامة، تترك فيها أثر عميق و متداول لدى القراء و الدارسين تمثلت هذه الأبعاد في التاريخ، و السياسة، و الدين و منها روايات سياسية لها علاقة بالتاريخ، كما نجد الرواية الاجتماعية و هذه الرواية تجسد الواقع الاجتماعي المعاش من طرف الأفراد معظمها تكون حقيقية، و هناك كذلك العديد من الروايات الأخرى التي تعددت مضامينها و مواضيعها و من هنا شغلنا مجموعة من التساؤلات أثناء مطالعتنا للنصوص الروائية التي استمدت الواقع تاريخي معروف و موثق خاصة الرواية الجزائرية، التي تتحدث عن الثورة الجزائرية، و من بين الروايات التي قرأناها، قررنا اختيار رواية الديوان الإسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي" .

و لعل موضوع الهوية من بين المواضيع التي شغلت تفكير الكثير من الأدباء و المفكرين و النقاد كونها موضوعا بقدر ما شغل عقول المفكرين و الفلاسفة ، شغل كذلك عقول الأدباء و المبدعين، و كان للرواية الجزائرية نصيبا من هذه الدراسة حيث عبرت عن الهوية الوطنية و ما مرت به من أزمات و محاولات لتفكيكها و طمسها، و قد كان السبب لاختيارنا هذا الموضوع بالذات واقعا معيشًا يعبر عن هموم الانسان و كذا الرغبة في اكتشاف مميزات و خصائص الرواية الجزائرية و مدى تناسقها و نقلها

لطبيعة الهوية، و الولوج لعلم دراسة الرواية و الهوية بالخصوص و إسقاط أهم ما وصلت إليه الأبحاث عليهما .

وقد جاءت دراستنا هذه موسومة بـ " صراع الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي" وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة على العديد من التساؤلات التي

شكلت جوهر إشكالية بحثنا هذا: ما هو مفهوم الهوية؟

ما هي مكونات وخصائص الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة؟

ماهي توجهات وأبعاد الهوية الجزائرية؟

و للإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا الخطة التالية: مدخل نظري تناولنا فيه تعريف الرواية لغة و

اصطلاحا و نشأة الرواية الجزائرية المعاصرة و مراحل تطورها، كما اعتمدنا على فصلين: جاء الفصل

الأول معنون بـ " إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة" تطرقنا فيه إلى ماهية الهوية و مكونات الهوية

الجزائرية كمبحث الأول و توجهات و أبعاد الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة كمبحث ثاني، اقتصرنا في

المبحث الأول على إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة و حضور الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة

في المبحث الثاني، أما الفصل الثاني فصل تطبيقي بعنوان صراع الهوية في رواية الديوان الإسبرطي لعبد

الوهاب عيساوي تناولنا في المبحث الأول ملامح الهوية الجزائرية في رواية الديوان الإسبرطي و في

المبحث الثاني تطرقنا إلى خصائص الهوية الجزائرية في رواية الديوان الإسبرطي.

لينتهي بحثنا بخاتمة حاولنا أن نحوصل فيها جميع الملاحظات والنتائج التي توصلنا إليها من خلال مشوار بحثنا هذا، كما اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي كمنهج رئيسي والمنهج التحليلي الوصفي كمنهج مساعد وذلك لملائمة مع مادة البحث وطبيعة الموضوع.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي سهلت علينا رحلة البحث أهمها:

-أبحاث في الرواية العربية لمفقودة صالح.

-تمثلات الهوية والأخر في الرواية الجزائرية لخليف هوارية.

-الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي

ولابد لكل موضوع ودراسة مجموعة من الصعوبات والعراقيل تعترض مسيرته منها:

-قلة الدراسات والمراجع التي تناولت موضوع الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة بإضافة إلى صعوبة حصول مفهوم ثابت للهوية.

-ضغط عنصر الوقت الممنوح في إكمال متطلبات مذكرة الماجستير.

وفي الأخير نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر

والعرفان لأستاذنا المشرف " عبد القادر بن عزة " الذي كان سندا لنا طيلة فترة إنجاز البحث.

المدخل:

الرواية الجزائرية الحديثة: النشأة والتطور

1. تعريف الرواية:

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية الحديثة استعابا للواقع ومتغيراتّه، وتعالج مختلف الإشكاليات الاجتماعية والفكرية والثقافية، وأحدث نوع نثري عرفه العرب هو الرواية التي أصبحت من الأشكال الأدبية، وقبل الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية وتطورها لا بد من التطرق الى ماهية الرواية

لغة:

جاء في المعجم الوسيط قولهم: "رَوَى على البعير رِيًّا؛ استسقى، روى القوم عليهم ولهم؛ استسقى لهم الماء روى البعير، شدّ عليه بالروء: أي شدّ عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حمّله ونقله، فهو راوٍ (ج) رواه، وروى البعير الماء رواية حمّله ونقله، ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه، وروى الحبل رِيًّا، أي انعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله والرواية، القصة طويلة¹.

ونجد كذلك كما عرفها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتابه (العين): "الرواية رواية الشعر والحديث، ورجل كثير الرواية والجمع الرواة"² ونجد تعريف اخر لابن منظور في لسان العرب انها: "مشتقة من الفعل روى قال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويتهم إذا استسقيت لهم، ويقال من اين ريتكم؟ أي من اين ترتوون الماء؟، ويقال: روى فلان فلانا شعرا، وإذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، قال الجوهري: رويت الحديث والشعر رواية فأنا راوٍ، في الماء والشعر من قوم رواة، ورويت الشعر تروية أي حملته على

¹ إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة، والنشر والتوزيع،

إسطنبول ص384

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2، ط1، 2003، ص165

روايته¹ ويقال الحمل والنقل لذلك ومن خلال هذا التعريف نلاحظ ان المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال المادي "الماء" أو الروحي "النصوص" وكلاهما ذات أهمية في حياة الإنسان وبالإضافة الى أيها تحمل مدلولات لغوية متعددة، فهي بطبيعة الحال تحمل معاني اصطلاحية كثيرة.

اصطلاحًا:

تعتبر الرواية أحد أهم أنواع السرد العربي، ولقد اختلف تعريف الرواية عند الفقهاء أو عند المحدثين وفي هذا الصدد نجد "عبد المالك مرتاض" يقول "تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ، تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفًا جامعا مانعا²

وقد يكون أبسط تعريف لها هو أنها شكل أدبي متميز، له ملامحه الخاصة، وقسماته الواضحة، هذا الشكل يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير عما يريدون التعبير عنه، أو هيكلًا لتصوير ما يرغبون في تصويره من أشخاص، أو أحداث، أو مواقف³، وبصورة أوضح، فإن الرواية تتعلق بكاتبها الذي يجب أن ينشئ عالمه وهذا العالم ينشئ عبر كتابته، ومما أدى الى المرء وصف لظاهرة نفسية او لوضع اجتماعي، فإن الرواية ليست نتاجا على وجه الإطلاق، ولكنها إبداع.

و يعرفها أيضا إدوارد الخراط بقوله: "الرواية في ظني هي اليوم الشكل الذي يمكن ان يحتوي على الشعر و الموسيقى، و على اللوحات التشكيلية، الرواية في ظني عملا حرًا، و الحرية هي من التمامات و

1. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ط3، ص280-281.

2. في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد شعبان، 1998 عدد240 ص11.

3. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص47.

الموضوعات الأساسية ومن التصورات المحرفة اللاذعة التي تنسل دائما الى كل ما كتب¹. أما معجم المصطلحات الأدبية فقد ورد فيه أن: "الرواية سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث و الأفعال و المشاهد، و الرواية تشكيل أدبي جديد ، لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، و ما صاحبها من تحرير الفرد من رقبة التبعية الشخصية"².

ونجد "ميخائيل باختين" يرى أن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم³، وكذلك عرف الرواية بأنها: "مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواسع، شاغلا وقتا طويلا من الزمن⁴، ونستنتج مما سبق فالرواية تجربة فنية منفردة باعتبارها جزءا من الخيال النثري مجسداً في إبداع الكاتب، وغير أن ما يميز هذا الجنس عن سواه هو أنه منفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

2. نشأة الرواية الجزائرية المعاصرة:

"تأخرت النهضة الأدبية في الجزائر عن شقيقتها في الأقطار العربية الأخرى، و تأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر عن ظهور الفنون أدبية التقليدية الأخرى،... إن ظروف الصراع السياسي و الحضاري التي كان يعيشها الشعب الجزائري كانت تقتضي الانفعال في النظرة، و السرعة في رد الفعل، و عدم التأني

1. إدوارد الخراط: الرواية العربية واقع وأفاق، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص297.

2. علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، ص36، نقلا عن أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1987، ص21.

3. ميخائيل باختين: الملحة والرواية، ترجمة وتقديم: جمال شحيد: كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982، ص66.

4. أحمد أبو سعد، فن القصة، ج1، منشورات دار الشرق الجديدة، 1959، ص25.

في التعبير عن المواقف و المشاعر، وهي شروط جعلت الأديب يميل إلى القصيدة الشعرية و الأقصوصة التي تعبر عن اللمحة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاد إيديولوجية و فنية واضحة و نحن نتحدث هنا بطبيعة الحال عن الكتابات العربية التي كانت أقرب إلى الصراع السياسي و حضاري...¹ فنشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي حيث لها جذور عربية إسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمذاني و الحريري و الرسائل و الرحلات، إلا أن الرواية الجزائرية ظهرت متأخرة بالنسبة إلى الرواية في العالم العربي نتيجة لظروف سياسية و فكرية و اجتماعية و ثقافية عرفتها الجزائر و شهدها العالم بأسره و هذا التأخر لم يمس الرواية و القصة فقط بل أدى إلى تأخر الأدب بصفة عامة و نتج عن هذه الظروف تيارين في القصة الجزائرية هما التيار العربي و هو التيار الذي اتخذ من اللغة العربية أداة للتعبير، و التيار الفروكنفوني الذي اتخذ من اللغة الفرنسية أداة للتعبير و للتعلم أكثر في الظروف المحيطة بنشأة الرواية الجزائرية .

كما أن تأخر ظهور الرواية في الجزائر يدعو إلى التأمل و إلى صبر و يتطلب ظروفًا ملائمة تساعد على تطوره و عناية الأدباء به، فيأتي في هذه العوامل أن الذين كتبوا باللغة العربية اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعتبر من واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة، فكان أسلوبها ملائمًا للتعبير عن الموقف في اللحظة الأنية، كما أنها تعالج قطاعًا من المجتمع لشخصيات تختلف اتجاهاتها و تتفرع تجاربها و تتصارع أهواؤها و مواقفها في حين أن الرواية تتطلب لغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، و هذا مالم يتوفر لها إلا بعد الاستقلال

¹. ينظر: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، محمد مصاييف، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.

أ- الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية:

"لا يمكن بأي حال من أحوال تناول نشأة و تطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع الاجتماعي و السياسي للشعب الجزائري، ذلك أن الفن الأدبي كغيره من الفنون الأخرى لا ينبث في الفضاء، فلا بد له من تربة، و بقدر خصوبة هذه التربة تكون جودة الإنتاج، و خصوبة التربة، يعني وجود نضج و وعي، كما أنه في تناولنا لموضوع الرواية لا بد من التطرق إلى المرجعيات الأخرى لهذا الجنس الأدبي، من مثاقفه و من ارتباط من المشرق العربي و مع التراث السردي بصفة عامة، هذا فضلا عن الواقع السياسي و الاجتماعي للشعب الجزائري، و بطبيعة الحال فإن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث و تشابكها، و لعدم كتابة تاريخ الجزائر لحد الآن و عدم تحليله، ثم إن التخصص و المقام لا يسمح إلا بالإشارة الخاطفة إلى بعض المحطات الهامة الأساسية التي لها علاقة بفن الرواية."¹

من هذا القول نكتشف أن فن الرواية ظهر نتيجة عوامل سياسية أي الاستعمار، و نتيجة هذا العامل كان لا بد للجزائريين من خلق فن يعبرون به عن أفكارهم و عن الظلم و الجور الذي تعرضوا له، و الرواية هي التي قامت بذلك فهي تعبر عن الواقع بكل صدق "تشير بعض الدراسات إلى أن أول بذرة قصصية كتبت في الأدب الجزائري تدخل في إطار جنس الرواية هي "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق" لـ "محمد مصطفى ابن إبراهيم" الذي يدعى الأمير مصطفى سنة 1849م، و إذا سلمنا بهذا

¹. مفقودة صالح: أبحاث في الرواية العربية (د.ط)، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر، بسكرة ص12.

فإن انطلاق الرواية العربية الحديثة تكون من الجزائر على حد قول "صالح مفقودة" "غير أن اتسام هذا العمل بالضعف اللغوي و التقني جعل "عمر بن قينة" يتحفظ في اعتباره رواية أولى على مستوى الوطن العربي، بالرغم من أن هذه الحكاية كانت أول عمل قصصي انعكست فيه نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر، فقد صادر المستعمر أملاك المؤلف و أملاك أسرته و اضطهدها"¹.

يبين هذا القول أن الرواية العربية الحديثة انطلقت من الجزائر على حد قول "صالح مفقودة" وبهذا تكون أول بذرة قصصية هي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد مصطفى بن إبراهيم إلا أن بعض الآخر رجح إلى أن عادة أم القرى هي أول عمل روائي مكتوب باللغة العربية في الجزائر أمثال واسيني الأعرج.

ب- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

فمنذ أن وطئت أقدام الاستعمار أرض الجزائر و شعبها يعيش في ظروف غير طبيعية حاولت فيها فرنسا طمس الهوية الجزائرية و فرنسة الشعب الجزائري و منع تعليم اللغة العربية و محاربة المدارس القرآنية و الزوايا التي كانت تقوم بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم و دينهم، تشجيع الحملات التبشيرية، إنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن، هذه الأخيرة ضمت الغالبية العظمى من الفرنسيين و الأقلية من الجزائريين، و كان الهدف من وراء ذلك تكريس اللغة الفرنسية باعتبارها لغة حضارة و ثقافة، و كذا تكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم المثالية و يعتنق الأفكار التي تشيد بفرنسية الجزائري و حق فرنسا في حكم الشعب و امتلاك الأرض .

¹ معمري أحلام، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، العدد 20، جوان 2014، ص57.

إن الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وعن الرواية بصفة خاصة كونها الجنس الأدبي الذي اتخذته الجزائريون أداة للتعبير عن آراءهم ومشاعرهم، يفضي إلى الإشارة إلى الإشكالية التي عانى منها الأدب والمتعلقة بهويته وأصله فاللغة التي كتب بها هذا الأدب هي التي جعلت البعض يعتقد أنه أدب فرنسي وهو الأمر الذي أوقع الخلط بين الروائيين الجزائريين ونظرائهم الأوروبيين ممن ولدوا في الجزائر، وجعلوها موضوعا لإبداعاتهم من أمثال "ألبير كامو" و "جون سيناك" وغيرهم.

لذلك كان يجب علينا أن نحصر عبارة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في ذلك الأدب الذي كتب من طرف أدباء جزائريين يحملون في أعماقهم هموم الأمة الجزائرية، أما ما كتبه الفئة الأخرى فهو أدب فرنسي كتب في الجزائر، يعبر في أغلبه عن العقلية الاستعمارية الاستيطانية، ومن هنا فإن "الفرق يتمثل في الرواية، فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف عن رؤية الكتاب الجزائريين ذوي اللسان الفرنسي"¹ ويمكن اعتبار هذا نقطة اختلاف وفرق بين الفئتين.

ويمكن القول أن الأدبيين الجزائريين المكتوبين بالعربية والفرنسية ساعد على التعرف عن الأدب المكتوب بالفرنسية فهو السائد والراجح في الخارج مقارنة بالأدب العربي وتمس هذه الظاهرة خصوصا فن الرواية. شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية و لغوية متميزة، و أثارت بذلك حولها جدلا واسعا بين النقاد و الدارسين، فمنهم من اعتبرها جزائرية على أساس مضمونها الفكري و الاجتماعي، فالأغلب عدها رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية على أساس لغتها، تعد سنة 1950م هي سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، على يد جماعة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا

¹. عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د،ط)، 2009، ص211.

في المدارس الفرنسية و على رأس هؤلاء نجد "مولود فرعون" الذي ألف رواية "ابن الفقير" ليتبعها بروايات أخرى صدرت خلال الخمسينيات هي روايات: "الأرض و الدم" عام 1953م، "الدروب الوعة" عام 1957م، كما ألف مولود معمري "الهضبة المنسية" في عام 1952م، و رواية "سبات العادل" عام 1955م، و قد نشر بعد الاستقلال روايته الملحمية التي تحولت إلى فيلم و هي رواية "الأفيون و العصا" سنة 1965م، أما محمد ديب فألف روايات منها "الخريف، الدار الكبيرة، النول" و هي ثلاثية صدرت عن دار الهلال سنة 1970م، ترجمة سامي الدروبي و قد تناول محمد ديب في رواياته الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، بعاداته و تقاليدته في "الدار الكبيرة" أما روايته "النول" فتناول شريحة من المجتمع التلمساني إبان فترة المستعمر و هم الصناع التقليديون للغزل و النسيج.

نستنتج مما سبق أن الرواية الجزائرية ظهرت متأخرة مقارنة بالأشكال الحديثة الأخرى، وكان معظم كتابها يكتبون باللغة الفرنسية في فترة الاستعمار، ذلك أن الثقافة الفرنسية كانت تغطي على الثقافة العربية آنذاك، لكن بعد ذلك ترجمت الروايات الجزائرية إلى اللغة العربية.

3. تطور الرواية الجزائرية المعاصرة:

لقد نشأت الرواية الجزائرية في ظروف استثنائية تمثلت في تواجد البلاد تحت سيطرة المستعمر الفرنسي حيث التزم الكتاب والنقاد الصمت لبرهة من الزمن بسبب الدواعي السياسية والثقافية مما أدى إلى إنتاج روائي متأخرا، إلا أنه قد طرأت على الرواية الجزائرية عدة تحولات وتغيرات ساهمت في بلورتها وتطورها، وقد تأثرت بروايات المشرق والمغرب.

أ- الرواية الجزائرية ما قبل الاستقلال:

جاءت الرواية الجزائرية نتاجا للصراع القائم بين الشعب الجزائري والمستعمر الفرنسي فالإحاطة بالجوانب السياسية لها الدور الرئيسي في ظهور الرواية الجزائرية واكتمال معالمها، ومن الضروري اللجوء إلى بعض العمليات المنهجية التبسيطية التي يملئها البحث الأدبي وهي تقسيم هذه الفترات التاريخية المتمثلة في حلقات مترابطة في سلسلة واحدة رئيسية هي التاريخ.

كانت لهذه الفترات الثلاثة الدور الحاسم في بلورة الوعي الجماهيري واستقلال الجزائر وتحديد هويتها وهوية الاتجاهات الروائية في الآن ذاته

"أولها: ثورة الفلاحين (1871-1916) يرتبط تاريخ هذه الثورة بظهور أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري وهي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد مصطفى بن إبراهيم الذي سلبه المستعمر أملاكه وأملاك أسرته، ولعل ظهور هذه الرواية انعكاس لنتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.

ثانيا: أحداث 8 ماي 1945: والتي تكمن أسبابها في القهر الممارس ضد الشعب الجزائري والقوانين المححفة التي كانت تصدرها فرنسا، إن انتفاضة 8 ماي 1945 تعتبر نقطة تحول على كل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.

ثالثا: أول نوفمبر 1954: التي انصهرت فيها كل الأحزاب وتغيير أسلوب الحياة والتعامل مع المغير، وفي هذه الفترة ظهرت أعمال روائية متمثلة في:

الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951

الخريف لنور الدين بوجدره عام 1957

وبطبيعة الحال فإن صدى الثورة في الأدب سيحدث لاحقا أما عند هيب الثورة فكان للغة الرصاص القول الفصل والأوحد¹.

بإضافة أيضا إلى رواية العطش لأسيا جبار أول رواية لها سنة 1957، وأردفتها برواية أخرى بعنوان القلقون عام 1958 ورواية الدار الكبيرة للروائي محمد ديب سنة 1952 وبعدها نشر رواية الحريق والتي تزامن ظهورها مع اندلاع ثورة نوفمبر 1954.

ب- الرواية الجزائرية ما بعد الاستقلال:

لم يكن الاستقلال نهاية للأدب النضالي، فالأدب يتلون بحسب حالات السلم و الحرب فلم تتمكن الأعمال الأدبية المنتجة في هذه الفترة من التخلص من الحديث عن الثورة فقد ظلت الروايات تعالج الثورة و قضاياها و تصور مآسيها و تؤرخ لفترة زمنية حرجة غيرت ملامح الشعب الجزائري للأبد، و نذكر بعض الروايات التي صدرت في فترة الستينات "روافد أطفال العالم الجديد" الصادرة عام 1962م للروائية أسيا جبار و رواية "الأفيون و العصا" الصادرة عام 1965م لمولود معمري و رواية "أصابع النهار" 1967م لحسن بوزاهر و أيضا رواية "أسلاك الحياة الشائكة" الصادرة عام 1962م لصالح فلاح، و قد ساهمت هذه الروايات في تعميق الشعور بالوعي الوطني و الإشادة بأمجاد الثورة و تضحيات الشعب.

1- الرواية الجزائرية في السبعينات:

¹. مفقودة صالح: أبحاث في الرواية العربية (د.ط)، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر، بسكرة ص12.

لقد سبق و أن عرفنا أن مرحلة السبعينات كانت المرحلة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة، حيث تعتبر هذه الحقبة من الزمن، الأرض الخصبة المنتجة للرواية الجزائرية المعاصرة حيث شهدت ميلاد أول عمل ناضج و هو رواية " ربح الجنوب " سنة 1971م للروائي عبد الحميد هدوقة، إذ جسد هذا العمل الفني خلاصة التجارب السابقة في العمل الروائي المحلي معلنا بذلك ميلاد أعمال أخرى على غرار رواية "اللاز" للروائي طاهر وطار سنة 1972م و رواية "نار و نور" لعبد المالك مرتاض سنة 1975م و غيرها من الأعمال التي أظهرت التطور و التنوع الذي لم يكن له مثيل في السابق، فالرواية في هذه الفترة كانت ذلك القالب الفني المزدهر المعبر عن الحياة الاجتماعية بكل جوانبها و أبعادها.

2- الرواية الجزائرية في الثمانينات:

شهدت فترة الثمانينات تجارب روائية عديدة لكتاب جزائريين نتيجة تحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل جيل هذه الفترة اتجاهها تجديديا في هذا النمط الأدبي الجزائري، و من بين هذه التجارب نذكر: أعمال واسيني الأعرج "وقع الأحذية الحشنة" 1981م و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" 1983م و رواية "ما تبقى من سيرة" لخضر حمروش "سنة 1983م بإضافة إلى روايات و كتابات الحبيب السايح مثل رواية "زمن التمرد" سنة 1985م و أعمال جيلاني خلاص مثل رواية "رائحة الكلب" سنة 1989م و رواية "حمام السقف" سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش رواية "البراق" سنة 1982م و رواية "عزوز الكابران" سنة 1989م، كما أخرج رشيد بوجدره عدة أعمال روائية نذكر من بينها، رواية "التفكك" سنة 1982م، و "المرث" سنة 1984م و "ليليات امرأة آرق" سنة 1985م و "معركة الرقاق" سنة 1986م.

إن ما يلفت النظر في هذه الفترة هو السعي الجاد من رواد الرواية العربية الجزائرية إلى الانخراط ضمن التوجه الجديد في الممارسة الروائية والاستفادة من تقنيات الرواية الجديدة سواء العربية منها أو العالمية، حيث نشر عبد الحميد بن هدوقة روايته "الجارية والدررايش" سنة 1983م والتي مثلت إضافة نوعية لمسيرته في عمله الروائي، إضافة إلى كل هذه الأعمال الروائية التي ترمي إلى إحداث التجديد والخروج عن المألوف السردى.

فقد شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري وإدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال.

3- الرواية الجزائرية في التسعينات:

تلقب فترة التسعينات بالعشرية السوداء التي لن تنسى في تاريخ الجزائر المجيد وكأن هذه الفترة دفعت الرواية الجزائرية إلى الأمام نظراً لخصوصية هذه المدة، فأعطتها رؤية معاصرة سابقة لأوانها. فبعد هذه الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال سنوات الماضية والتي مست طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجاً آخر عاجل موضوع الأزمة وآثارها فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مداراً لها.

حيث واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، فقرأنا روايات لمختلف الأجيال التي تعاطت موضوع العنف السياسي وأثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، حيث يلتقي طاهر وطار في "الشمعة والدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيده المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها.

كما يعد أدب الأزمة أو ما يسمى بالأدب الاستعجالي من أهم إنتاجات الإبداعية الجزائرية لكونه أرخ لمحنة الجزائر التي مرت بها أثناء العشرية السوداء، وما جاءت به قرائح الأدباء والنقاد في تصوير فني واقعي مرير تأملت منه كل شرائح المجتمع الجزائري، على اختلاف مشاربهم ومستواهم الفكري من الإنسان العادي إلى نخبة المجتمع.

إن الحديث عن أدب العشرية السوداء يثير إشكالية تعارض الآراء بين الأدباء والدارسين بين مؤيد ومعارض للتسمية، ومن الذين اعترضوا على تسمية الأدب الاستعجالي نجد الروائي طاهر وطار بقوله:

"إني لا أعترف بالمصطلح الاستعجالي في الأدب، وإذا لم نكن نقصد بالاستعجال التهافت من أجل الظهور والبروز رغم حداثة التجربة والموهبة"

فهو يرى أن أدب الفترة التسعينية جاء نتيجة الظروف الصعبة والاستثنائية التي عاشتها الجزائر.

الفصل الأول:

إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية

1. الهوية والماهية والاصطلاح:

يقر العديد من الباحثين والدارسين في شتى المجالات الأدبية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية وحتى السياسية في مسألة الهوية، وقد شكلت موضوعية الهوية جوهر الرواية الجزائرية في مرحلة البدايات بوصفها سيرورة سيكولوجية تتوسل الذاكرة، وبالإضافة إلى التساؤلات التي طرحت حول أصلها وماهيتها، ومع ذلك لا بد أن نشير في البداية إلى مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً.

أ- لغة:

تخلو المعاجم العربية مثل لسان العرب والقاموس المحيط من هذا المصطلح بمعناه الحديث، ولا يعدو الشرح فيها أن تكون الهوية من الفعل الثلاثي "هوى" بالفتح، يهوي هويًا وهويان وانهوى: سقط من فوق إلى أسفل، وأهواه هو، يقال أهويته إذا ألقيته من فوق¹. فالهوية لا تتجاوز معنى السقوط والنزول من الأعلى إلى الأسفل، وقوله عز وجل {والمؤْتَفِكَةُ أَهْوَى (52)}² والمقصود بها المؤْتَفِكَةُ (هو المنقلبة والتي أصبح أعلاها) هي قري قوم لوط التي نزل بها العذاب. وقد وردت الهوية عند "مراد وهبة" في المعجم الفلسفي "الهوية" Identity, identité تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، إلا أنها ليست تنطلق على الصادق، وهي أيضا من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ولذلك أطلق بها الطرف المختص بالأسماء، وهو الألف واللام، واشتق منها المصدر فقيل

¹. ابن منظور، لسان العرب، مادة (هوي)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص793.

². سورة النجم الآية 52.

الهوية من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان، والرجولية من الرجل¹. إذ نجد معظم كلمة الهوية مشتقة من لفظة "الهو".

وأما عند الجرجاني فيمزج في تعريفه للمعنى حيث يقول: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"². وتتمحور معنى الهوية في معجم التعريفات فاشتمال النواة على الشجرة في الغيب يعني أن النواة تحمل في تركيبها كل الخصائص اللازمة لشكل الشجرة.

ونجد أيضا في معجم "المنجد في اللغة والأعلام" وردت كلمة الهوية على أنها مشتقة من الضمير "هو" بمعنى هي "حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى هُو"³ إن مفهوم الهوية يشير إلى حملة الصفات الجسدية الظاهرة في الإنسان، التي تميزه عن غيره.

ب- اصطلاحًا:

أما في المفهوم الاصطلاحي للهوية، فلها تعريفات متعددة ومتنوعة، ويعرف ميكشيللي (Alex Mucchielli): "بوصفها منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية،... فالهوية ليست شيئًا جامدًا بل هي في سياق تطورها تتحدد على نحو تدريجي وتعيد تنظيم نفسها وتتغير من غير توقف وذلك إلى حد تكون فيه قادرة على تحديد خصوصية الكائن الإنساني وهي تنطوي على ديناميكية داخلية مماثلة لمنظومة العمليات المعرفية والعقلية التي تشكل

¹. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 668.

². الجرجاني، التعريفات، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، ص 320.

³. المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ط40، 2009، ص 320.

الإحساس بالهوية¹. فالهوية المتكاملة هي التي تملق ديناميلها الداخلية وتسعى إلى تأكيد وجودها وتحقيق ذاتها.

ويقول "حسن حنفي": "ليست الهوية موضوعًا ثابتًا أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية² أي أنّ "الهوية" قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات، والذات حرة واعية. وأما المذكر العربي "محمد عابد الجابري" فيعرف الهوية في كتابه "مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب" على أنّها: "وجود وماهية... والماهية ليست معطي نهائي، بل هي شيء يتشكّل، شيء يصير"³. الهوية إذن ليست مفهوم صوري، بل هي موجود فعلي، فهي تمثل حلقة ربط بين الفرد والجماعة وعاملاً مجددًا للعلاقات.

أما إذا ذهبنا إلى مفهوم الهوية من المنظور الفلسفي، "فهي تعبر عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء نفسه أو لمثله، فهوية أي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشارك... فتميزه عن غيره من الحضارات"⁴. ويوحى لنا هذا التعريف أن الهوية في أمر ثابت مطلق وليس نسبي أي لا يحتمل التغيير إضافة إلى ذلك يجب توفرها على عنصر المطابقة لحقيقة الشيء.

1. أليكس ميكشيللي: الهوية، تر على وطفه، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، سنة 1993، ص129-130.

2. حسن عنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص23.

3. محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص10.

4. عبير سببوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة، وبيروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص85.

ومن الباحثين من يرى أنّ "الهوية وحدة الذات"¹. ولذلك فإن اعتمادنا المفهوم اللغوي للهوية، وهو يشمل الامتياز عن الغير، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات.

وعرفها محمد عمارة بقوله: "إنّ الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الشمس والحجب، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات"².

كما نجد مفهوم الهوية عند "ماجدة حمود" بقولها: "إنّ الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصية، و محدّدة معاملة بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصية، و محدّدة معاملة بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخًا للآخرين، لهذا تعد شرطًا ملازمًا للفرد، يؤثر في الجماعة، و يمنحها سمة خاصّة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا" عن "النحن" لأن الهوية تتحقق شعورًا غريزيًا بالانتماء إلى الجماعة و التماهي بها، فتتبادل معها الاعتراف، و بذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صاف و بسيط"³.

ونستنتج من هذا المفهوم أن الهوية مرتبطة بالزمن وتنمي شخصيته وتجعله مميزًا عن غيره وشخصية بارزة ومؤثرة في كل من حولها.

مما يمنح إبداعًا خاصًا، فلا يكون مسخًا للآخرين.

¹. المرجع نفسه، ص86.

². محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999 ص6.

³. ماجدة حمود، إشكالية الأنا الأخر (نماذج روائية عربية) عالم المعرفة، دولة الكويت، د.ط، 2013، ص15.

ورد في مفهوم آخر " بأن الهوية مركب مبني، ومعتزف به جماعياً، وذلك من دلالات الذات الممتدة من عضوية للفرد كالطبقة والعرق واللغة..¹ نستخلص من هذا المفهوم بأن الهوية تقوم على مكونات في الطبقة العرق والدين واللغة.

ونجد أيضاً مفهوم الهوية في المعنى الاصطلاحي بأنّ "الهوية فيض متجدد لا يمنعه ثبات نواته من إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير إنّ الهوية السردية ليست هوية ثابتة، ذلك لاتساعها شمولاً وفيضا بفعل التجارب اليومية وبذلك تظل الهوية مشروعاً يطلب دوماً التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكناً"².

كما يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنّها مجموع سماته المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه مخلوقاً لا تخطئه العين، والهوية هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين... إلا أنّ الهوية هي أيضاً ما أصف فيه نفسي عندما أتأمل ذاتي بصورة مكثفة وأشكل صورة ذاتي³.

2- الهوية الجزائرية وتعدد المكونات:

تروم هذه الدراسة على "خصوصية الهوية الجزائرية" في عدة نصوص روائية، ويستخدمها الروائي أو الشخصية الروائية للوصف بنفسها من حيث إبراز الدور الذي تعبّر به مع مختلف العناصر المكونة في بناء

¹ عزيز العظمة وآخرون، مفاهيم عالمية للهوية، تر عبد القادر، فتيبي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، ص67-68.

² بيتر كوزان (Peter Cozen)، البحث عن الهوية وتشتتها في إيريك إيركسون وأعماله، ترجمة سامر جميل رضوان، دط، دار الكتاب الجامعي، العين، دولة الإمارات المتحدة، 2010، ص93.

³ مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات عنان كنفاني، رسالة دكتوراه، إشراف جمال مباركي، جامعة بسكرة، 2017، 2016، ص13.

الشخصية الجزائرية، سواء على صعيد العرق أو الدين أو اللغة، وعليه يتوجب علينا الوقوف على تمثيلات الهوية الجزائرية سنباشر ذلك من خلال:

أ- مكون اللغة:

اللغة هي أداة للتفكير والصلة بين اللغة والفكر، وتشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر من أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة واللغة ترتبط بالهوية ارتباطاً وثيقاً فهي ماهية الإنسان التي تعبر عنه.

نجد عند "رمزي بعلبكي" قائلاً: "اللغة، منظوراً إليها من زاوية الهوية، ليست مجرد أداة تواصلية محايدة وسلبية، بل هي كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات الهوية، وتطويرها، أو على العكس من ذلك تدهورها وتحللها، إضافة إلى أنّها أحد أركانها وأنحائها الكبرى"¹. تعزيز الانتماء إلى الوطن ويتشكل معه الفرد ويقوم باستخدامه ليكون معياراً لتقدير الذات.

اللغة هي عنوان الوجود والهوية ومرتبطة بالتراث والماضي والحاضر وهي تحدد ملامح المستقبل بتطورها مع تطور العلاقات الإنسانية، وورد في "ومؤمن بأن الكتابة باللغة الأم ستكون أصدق وأكثر قدرة على التعبير عن حقيقة أفكاره، وستكشف الكتابة بهذه اللغة ذاتها، من حيث هي جزء من معالم هوية المجتمع الجزائري"².

¹. رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العرب، إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث م دراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2013، ص52.

². بن علي لونيس، هكذا تكلم مالك حداد، ما معنى أن تكتب بلغة الأخر، مجلة مسارات مجلة فصلية تصدر عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة، العدد 03، 2014، ص44.

تعد اللغة من بين الأولويات الأساسية لمفهوم الهوية، حين نجد عند "الشريف كرمة" يقول: "إنّ اللغة فكر ووجدان وإرادة، تتجلّى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير والتواصل"¹.

وفي نفس السياق نجد "لطيفة إبراهيم خضر" تؤكد على أهمية اللّغة بقولها: "واللغة هي وسيلة التحوار والتخاطب بين شتى فئات المجتمع على تباينها، فهي تقطع المسافات وتصل بين الأجيال والشعوب، وهي لهذا بمثابة العمود الفقري لوحدة الأمة والرحمة الأساسية وراء تماسكها باعتبارها الحجر الأساسي للانتماء"².

وكذلك يشير "عز الدين صحراوي" بقوله: "يقول ليفي شتراوس في كتابه الآفاق الحرنية: فإننا نعني اللّغة وحين نقول اللّغة، فإننا نقصد المجتمع"³.

اللغة وسيلة اتصال وتفاهم، وتعتبر من أخص المكونات المؤثرة على الهوية، حيث لها دور كبير في تحديد هوية الجماعات "إن النظر إلى اللغة في علاقتها بالهوية يتجاوز كونها أداة تواصل بين أفراد الجماعة إلى النظر إليها باعتبارها رمزاً من رموز الجماعة تشارك في تحديدها وتعريفها، وأداة توحيد ومحافظة على الجماعة واستمرارها"⁴.

1. الشريف كرمة، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 6، جوان 2006، ص42.

2. إبراهيم لطيفة خضر: هويتنا إلى أين؟ ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2009، ص244.

3. عز الدين صحراوي: اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد حيزر بسكرة، العدد الخامس، جوان 2009، ص9.

4. سعاد بضياف ولبوخ بوحملين، أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الأثر، العدد25، جوان 2016، ص196.

ويضيف "كرمة الشريف" في مجال توضيحه للمهام التي تقوم بها اللغة قائلاً: "إن اللغة رمز التعايش المشترك، وبها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية وتدوين سجل الأمة وحماية تاريخها، وحفظ ذاكرتها ما يضمن التفاعل الحضاري بين الخلف والسلف".¹ وبذلك اللغة تقوم بدور مهم في تشكيل هوية المجتمع، فهي وسيلة التواصل بين الأفراد والشعوب وبالتالي فإن اللغة دور في زيادة الوعي بين الأجيال.

ونجد عند "عباس الجراري": "أداة تعبر عن الإبداع الأدبي والفني والكشف عن المشاعر والأحاسيس"². لدى شتى الشعوب والدول أن توحد اللغة وتجمع شملهم، وتعد عاملاً مهماً في بناء هويتها.

ب- مسألة الدين:

يعد الدين نظام اجتماعي وسمة متأصلة في حياة الإنسان مثلها مثل باقي الغرائز، الاعتزاز بالانتماء إليها. "فهو نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعاً"³.

وإذا رجعنا إلى تعريف الدين فنجد "محمد الزحيلي" في قوله: "الدين هو الحالة النفسية والعقلية والوجدانية التي يتصف بها شخص معين، ونسُميها الدين، أو هو مجموعة المبادئ والقيم التي تدين بها أمة أو جماعة اعتقاداً أو عملاً، وتظهر في كتب ومراجع وروايات، وتتمثل في عادات خارجية وآثار اجتماعية"⁴. ونستنتج من هذا التعريف مدى أهمية الدين في حياة الفرد والمجتمع، وهو المبادئ والقيم التي ترسل مباشرة إلى مفهوم الهوية.

1. الشريف كريمة، مرجع سابق، ص43.

2. عباس الجراري، هويتنا والعولمة، النادي الجزائري، الرباط، المغرب، (د،ط)، 2012، ص12.

3. محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سوق عكاظ، 1991، ص32.

4. المرجع نفسه، ص21.

الهوية الدينية هي "نمط من الهوية يتشكل على قاعدة الانتماء إلى معتقد ديني، يتمثل بطائفة دينية أو فرقة أو مذهب"¹. حيث أن الدين هو العامل الأساسي في بناء الهوية المستقرة، و في نفس السياق يشير "بن عبد الله محمد" إلى ذلك بقوله: "تتمثل وظيفة الدين في تقوية الأوامر التي تربط الفرد بالمجتمع الذي هو عضو فيه، كما تهدف إلى تحقيق اندماجه في المجموعة الاجتماعية، لأن الطقوس الدينية هي التي تقوي في نظرة إحساس الفرد بالانتماء إلى جماعته، و تمكنها من أن تجدد دوريا المشاعر الخاصة بها و بوحدتها، و تساعد على ربط الحاضر بالماضي"² و يضيف أيضا: "يتفق معظم الباحثين بأن الدين هو أحد الثوابت الثقافية و الاجتماعية التي لم تتغير و لم تندثر و بقيت صامدةً في ظل التقلبات الفكرية و الإيديولوجية و التطورات العلمية، و هو عنصر بارز من العناصر المغذية للثقافة و المشكلة لعقل الإنسان و وجدانه و هويته و شخصيته"³.

ومن خلال هذا، يتبين مدى الأهمية التي يتميز بها الدين في تشكيل الهوية. و باعتباره عنصر من العناصر الأساسية التي تشكل الثقافة والعقل والوجدان والهوية وشخصية الانسان. و في هذا المجال يواصل "محمد الزحيلي" حيث يقول: "إقامة الروابط الاجتماعية الحية عن طريق الدين سواءً كانت على نطاق الأسرة أو على مستوى الوطن أم على مستوى الأمم و الدول و الشعوب، و يهدف الإسلام من ذلك أن يربط الفرد بالمجتمع و أن يغرس فيه الشعور بالولاء و الانتماء"⁴ فمنه أن المكون الديني يحتل مكانة

1. سعدية بن دنيا، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، جامعة مستغانم الجزائر، العدد الرابع، سبتمبر 2017، ص70.

2. بن عبد الله محمد، سيكولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص72.

3. المرجع نفسه ص73.

4. محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، مرجع سابق، ص83.

مرموقة و ذات قيمة عالية التي تشكل هوية الأمة في المجتمعات العامة، و في هذا الصدد نجد "جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين" يقول: " و إذا كانت هذه الهوية وهذه أهميتها لكل أحد فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية و الإسلام بعقيدته و شريعته"¹ و يعتبر الدين ذات أهمية بالنسبة لحياة الإنسان .

ت- عنصر الثقافة:

يعرف "عبد الرحمن يسيسو" الثقافة: " بأنها طريقة من الحياة التي تتمكن جماعة بشرية من تأسيسها، لتكون مقبولة من طرف جميع أفراد الجماعة، وهي طريقة تتضمن أساليب الإرادة وآلياتها ونمط التفكير وآداب السلوك والمعتقدات أو منظومة الأخلاق والقيم التي تحكم الجماعة"².

إن هذا التعريف بما يحمله من نسق وإشارات، يحملنا إلى مفهوم الهوية، ويمكننا أن نقول بوجود علاقة وطيدة بين مفهومي الهوية والثقافة، وفي نفس السياق نجد "حسن غامري" بقوله: "لو يتضح من خلال تحليل الثقافة والمجتمع، أن الثقافة تعني الأنثروبولوجيا الأنماط المختلفة من السلوك والتفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتها الأجيال عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، والثقافة هي ما يتعلمه الأجيال بعضها عن بعض"³.

¹ . جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، مؤسسة السماحة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2013م، ص14.

² . عبد الرحمان بسبسو، الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية، وزارة الثقافة، غزة، أبريل، 2005، ص6.

³ . محمد حسن غامري: المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص13.

ومن خلال هذا تبرز لنا الأهمية التي تحظى بها الثقافة على مستوى الهوية، ويكسب أفراد المجتمع ثقافة مجتمعهم من تفاعلهم مع بعضهم، فالثقافة هي مجموعة الأنظمة المادية التي ابتكرها الإنسان لتحكم سلوكه والارتقاء بهويته وذاته.

ويصف "مراد زعيمي" العلاقة بين الهوية والثقافة قائلا: "لكل مجتمع ثقافته ولكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها، وتخضع لها في جميع نتائجها، وتتمثل هذه الهوية فيها يمكن أن نسميه "نسق القيم الأساسية"¹. فعلاقة بين الثقافة بالهوية تقوم على دور كل منهما في حياتنا الاجتماعية وعلى التوافق والتأثير المتبادل بينهما.

ونجد أيضا عند "عبد العزيز بن عثمان التويجري" بقوله: "والثقافة ليست مجموعة من الأفكار ولكنها نظرية في السلوك بما يرسم طريق الحياة إجمالاً، وبما يتمثل فيه الطابع العام الذي ينطبع عليه شعب من الشعوب، وهي الوجوه المميزة لمقومات الأمة التي تتميز بها عن غيرها من الجماعات، بما تقوم به من العقائد والقيم واللغة والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين"². ومن هنا نستنتج أن الثقافة روح الهوية والأساس التي تقوم عليه وتأكيداً لذلك، يشير "أليكس ميكشيللي" على أنّ مفهوم الثقافة "يأخذ طابع الشمولية على نحو واسع وتشمل في إطار عموميته هذه على الغايات المطروحة والمعلنة، فالثقافة في

¹ مراد زعيمي: الثقافة والعولمة بين التكيف والفاعل، في الجزائر والعولمة، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر 2001، ص9.

² عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، جويلية، 2012،

ص3.

الواقع الأمر كل مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة وتشمل أيضا على كل أشكال التعبيرات المختلفة والفعاليات المتنوعة، التي تنبثق عن النظام المعرفي المكتسب¹.

ث- مرجعية التاريخ:

يمثل التاريخ إحدى المهارات الأساسية لهوية الأفراد، وتعتبر أداة مهمة بالنسبة لبعض الأشخاص في إيجاد الشعور بالهوية، وخاصة عندما يدركون ما فعله الأجداد من أجل الحفاظ على الوطن والهوية وفي هذا السياق يقول "عبد المالك مرتاض": "ولما كانت أهمية التاريخ عظيمة ذات شأن، فإن الأمم تظهر في تباين شخصيتها عبر الأزمان والأحقاب البعيدة"². ومن خلال هذا تبين لنا الأهمية التي يتميز بها التاريخ بالنسبة للأمم والشعوب.

و يعتبر "أليكس ميكشيللي" التاريخ كمقوم أساسي بقوله: "يتشكل تاريخ الجماعة في تاريخها و يبرز تاريخ الجماعة و آثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة، و أساطيرها و حكايتها، و ينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية و الجمعية و على صورة أبطالها التاريخيين، و كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة و آثارها، و على تقييم لأهمية تاريخ الجماعة الجمعي و أثره على تنظيم الوسط الحيوي"³ هو الذي يحمي الهوية من الاندثار و الزوال، فلكل أمة تاريخ يصفها عن الأمم الأخرى، حيث نجد "سمة عامة الشعوب العالم و خاصة في المراحل القلقة و الانتقالية من

1. أليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة على وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، 1993، ص29.

2. عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد8، ماي، جوان1972، ص225.

3. أليكس ميكشيللي، الهوية، مرجع سابق، ص26.

تواريخها إلا أن هناك خصوصيات واضحة لتشخيص هذا الهاجس في المقاربات الفكرية لمسألة الهوية و تعريفها لدى كل الشعب على حدة في حالة العربية بالذات نجد أن معاقرة التاريخ و التراث و النباش في الماضي بحثًا عن الهوية و الذات¹.

بهذا يكون التاريخ أكبر عامل في مجال بناء هوية، وفي هذا السياق يؤكد "عبد الرحمان الجيلالي" بقوله: "إنه لا يتصور على وجه الكرة وجود أمة تشعر بذاتها، تعرف نفسها قائمة بنفسها إلا إذا كانت حافظة لتاريخها، واعية لماضيها، متذكرة لأوليائها ومبادئها، مقيدة لوقائعها، مسلسللة لأنسابها، خازنة لأدائها بما لا يقوم به إلا علم التاريخ الذي هو الوصل بين الماضي والمستقبل، والرابط بين الآنف والمستأنف"². ومن خلال هذا يمكننا القول إننا لا يمكننا الاستغناء عن التاريخ سواء يعلق الأمر بالتأسيس لهويتها، ولذلك نجد في هذا الصدد "حسن الوراكلي" بقوله: "كان التاريخ مقوما من أبرز مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب"³ وبهذا فإن الهوية الجماعة مرتبطة ارتباطا بتاريخها.

نستخلص من خلال ما سبق أن عناصر الهوية الجزائرية استمدت الكثير من مقوماتها من الهوية العربية والغوص في عالم الرواية الجزائرية، ولكن على الرغم من ذلك، تبقى الشعوب والأمم خصوصيتها التي تلونت بها والمرتبطة بالبعد الجغرافي المتميز وكذا البعدين التاريخي والحضاري للأمة الجزائرية.

1. محمد فيصل يغان، الهوية والتاريخ والأخر فرادة في الرواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطبيب صالح، مجلة عود الند، العدد 71، 25 أبريل

2012، منشور في الموقع الإلكتروني <http://www.115.61/sp.p.ph?article338>، 2021/04/15، الساعة 16:18.

2. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجوائز العام، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 17.

3. حسن الوراكلي، المسلمون وأسئلة الهوية، جمعية البعث الإسلامي، تطورات، 2000، ص 70.

3- حضور الهوية في الرواية الجزائرية:

ترجع جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي، الذي أسهم في سحق بعض جذور الهوية وأهمها الدين، اللغة ومحاربة ونسخ كل ما هو جزائري طيلة فترة تواجده، إذ أن الاحتلال اللغوي وسيادة الثقافة الفرنسية في التعاملات اليومية لعقود عديدة أسهم في تفجر إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية¹

فضلا عن التناقضات والتوجهات الأيديولوجية التي ميزت الفكر السياسي الجزائري المعاصر أيام الحركة الوطنية والثورة والتي بقيت قائمة بعد الاستقلال، لاسيما في ظل الصراع الأيديولوجي بين الدوائر أو النخب الفرانكفونية والدوائر المعربة في دواليب النظام الحاكم، الذي أثر بشكل مباشر على وحدة المجتمع الجزائري، كما أسهم في خلق الأزمة الاقتصادية والسياسية داخل الدولة الجزائرية وصلت بها إلى ديمومة العنف والاستقرار.

يتوقف الاستقرار السياسي على مدى انسجامه وتفاعله مع البيئة التي يوجد فيها وبحكم هذا الترابط تتأثر الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية بالعقيدة الفكرية الثقافية لهذا النظام. يبدأ بالفعل هذا الاستقرار والاختلاف في وجهات النظر في الأيديولوجيات في الظهور جليا في الرواية الجزائرية. إذ يقول الروائي الجزائري أمين الزاوي: " عاشت الرواية الجزائرية خاصة المكتوبة بالعربية عقدة إيديولوجية منذ السبعينات إذا أنها ولدت في أحضان فضاء أدبي يساري، متميز بثقافة إغائية، ثقافة

¹. عبد الغفار رشاد، الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، القاهرة، مكتبة الآداب، 2003، ص131.

فقيرة في مركباتها الرمزية والروحية والأدبية (...).، والذي يعود إلى جملة من الروايات الجزائرية حتى منتصف الثمانينات سيجد أن نماذج كثيرة منها تكرر أو إعادة نسخ لرواية "اللاز" لطاهر وطار"¹.

فمن وجهة نظر عامة نجد أن من دعائم الاستقرار السياسي وجود تجانس فكري وثقافي إيديولوجي بين القوى السياسية والاجتماعية المتفاعلة داخل نمط الحكم السائد، وهذا ما يفسح المجال للحوار وتبادل الآراء بصفة سليمة على أساس خدمة المصلحة العامة وتحقيق التوافق والترابط المجتمعي بما يتحقق الاستقرار، النظام واستقرار الحكم والحفاظ على الهوية الوطنية².

ومن جهة أخرى فإن تحقيق الاستقرار السياسي يتطلب وجود المشاركة السياسية لمختلف شرائح المجتمع دون تهميش أي فئة منها في عملية صناعة القرار السياسي، أي انخراط المواطنين في عملية التعبير عن المصلحة، وهذا ما يؤدي إلى الارتقاء السياسي وإبعاد العنف عن النظام السياسي كما يسهم في تحقيق وحدة الهوية الوطنية التي تعد جوهر الاستقرار السياسي للدولة.

وإشكالية الهوية حاضرة ومؤثرة في صلب كل الصراعات التي عرفتها الجزائر عشية التحضير لثورة التحرير وبعد استرجاع السيادة الوطنية وكذا خلال عقد التسعينات من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، والتوافق حاصل منذ منتصف التسعينات حول مكونات الهوية الوطنية وتمت دسترته يظل هو المنطلق لكل أرضية تستهدف لم شمل الجزائريين³.

¹. أمين الزاوي، اليسارية في الرواية الجزائرية الملحق الثقافي، لجريدة الخبر الجزائرية، 6 جانفي 2005.

². مالك عبيد أبو شهيو، محمود محمد خلف، الإيديولوجية والسياسة، ط2، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1993، ص75.

³. عامر البغدادي، الإشكاليات المطروحة حول الهوية الوطنية، على الموقع، الإشكاليات المطروحة حول الهوية

الوطنية [/Sawtalahrar.net/index.php](http://Sawtalahrar.net/index.php)

والمسألة اللغوية هي في قلب إشكالية الهوية، ولقد تم على الدوام تسييرها ولكن أبدا لم تخضع للنقاش الموضوعي، لهذا لا تزال إلى اليوم تثير كل هذا الانفعال وكل هذا الحماس.

من المهم للغاية إحداث قطيعة مع كل تسيير سياسي وإيديولوجي للمسألة اللغوية وللهوية، بل هناك حاجة عاجلة إلى ذلك.

وكان انتشار اللغة العربية في أنحاء شمال إفريقيا مصاحبا لانتشار الإسلام فكان هذا أهم موجة لتعريف المنطقة، و أفضى هذا إلى انصهار أهل المنطقة في الإسلام، عكس ما حدث في بلاد الفرس و الترك حيث تم أسلمة الحضارة دون أن تعرب، فحافظت هذه الحضارات على هويتها في مواجهة الهوية العربية، عكس ما حدث في شمال إفريقيا، و من ثم بدأت أشكلة الهوية تبرز، فكان يطفو مشكل اللغة من حين لآخر ما أحدث نوعا من الصراع الثقافي بين الثقافتين الأمازيغية و العربية، بميكلة علمية أكثر تنظيما في المؤسسات و المعاهد و المدارس العليا، بينما ظلت الثقافة الأمازيغية يغلب عليها التقليد و عدم التجديد في المناهج و المؤسسات.

بعد الاستقلال، ورغم الحماية الرسمية والقانونية التي صبغت وجود العربية في المجتمع الجزائري، إلا أن اللغة الأمازيغية والفرنسية ظلتا محتفظتان بأهميتهما ومكانتهما، وإذا كانت الثانية هي لغة النخب المثقفة، فإن الأولى قد اكتسبت أهميتها من تاريخها وجغرافية انتشارها، حيث تشمل شرق الجزائر ومنطقة

القبائل الصغرى والكبرى والصحراء، كما أن العامية المتداولة فى بقية المناطق الوطن فيها الكثير من الإدخالات الأمازيغية¹.

مع ذلك فرض التيار العروبي فى الجزائر فى فترة الرئيسين "بن بلة" و "بومدين" اللغة العربية على مستويات الخطاب السياسي وفى التعليم، فيما عرف بسياسة التعريب.

من جانب آخر، أى طرف الصراع الأكثر أهمية، وهو التيار المفرنس فى الأدب والعمل الروائي الجزائري لكونه المحتل الفرنسي عمل طوال سنين وجوده فى الجزائر على طمس الهوية الجزائرية سواء أمازيغيتها أو عربيتها فنتج جراء هذا عمل روائي مرجعيته وأيديولوجيته جزائرية وأمازيغية عروبية لكن بلغة دخيلة هي اللغة الفرنسية لكن هذا لم يكن إلا وليد سياسات استعمارية، وأيضا ملجأ لمجابهة هذا المحتل بلغته حيث استعمل الكُتّاب لغة المحتل، لمقاومة الاحتلال كون اللغة الأم أصبحت مضطهدة والأهم فى هذا هو الواقع.

و تشكل هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، و من على شاكلته إحدى القضايا المختلف عليها اختلافا شديداً، على الصعيد النظري فى مجال الأدب المقارن "فقد عده البعض أدباً أوروبياً باعتبار اللغة التي كتب بها، و اعتبره آخرون أدباً قومياً أو إفريقيًا باعتبار "الروح" التي كتب بها، و حقائق المحلية التي عبر عنها، و قد ذهب فريق آخر إلى القول بأنه أدب بلا هوية لا تصح نسبته إلى البلد الذي ينتمي

¹. ينظر بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981، الجزائر، ص9.

إليه الكاتب، لأن ذلك الأدب غريب عنه لغة و قراءه، كما لا تصح نسبته إلى البلد الذي ينتمي إليه لغة الكتابة لأنه غريب عنه واقعاً و انتماء، و لا يربطه به أي رابط سوى رابطة اللغة التي كتب بها¹. الجزائر بلد قارة و ذلك يشمل كل المستويات الجغرافية و التاريخية و المستوى العرقي و التركيبة الديموغرافية و التنوع الطبيعي و في مجالات عديدة وصولاً إلى التنوع الأدبي و اللغوي لكن "لم يجد الثراء العرقي و اللغوي الذي عرفته الجزائر سلطة داعمة ساهرة على توجيهه و قبولته باتجاه البناء و التجميع، لأن السلطة لم تكن حاضرة سوى لإدارة الصراع، و كيفية توليد ميكانيزماته، لاستدامة ديمومتها و من ثم ضمان الاستمرارية حتى و أدى ذلك لارتهان الأمة بماضيها و حاضرها و مستقبلها، هذا الارتهان الذي برزت آثاره واضحة من خلال ظاهرة العنف السياسي و الاجتماعي التي طبعت المجتمع الجزائري منذ الاستقلال، و التي بدأت بأزمة صائفة 1962م و الصراع على السلطة، و استمرت مع أحداث أكتوبر 1988م، ثم تجددت بأكثر عنيفة سنة 1991م بعد إلغاء المسار الانتخابي، هذا العنف الذي مزال يلقي بظلاله علينا مادام لم تعالج أسبابه الفكرية و الثقافية و السياسية و الاجتماعية"².

تلك الأحداث أثرت بشكل عميق في ترسيخ العنف كظاهرة منتشرة بكثرة في الجزائر و ترسيخ جذور الخلاف بين الثقافات و المجتمعات و حدوث شرخ يحيل و تماسكها مدام أن لغة الحوار مغيبة و انعدام ثقافة تبادل الأفكار و الأخذ و العطاء، عبر الأساليب الحضارية السلمية و الراقية التي تزيد في تماسك المجتمعات حتى مع التنوع العرقي و اللغوي و غيره، و لن تحظى المأساة التي تحيها الجزائر بحل، دون

1. نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ و التطبيق، مرجع سابق ص16.

2. محفوظ رموم، رؤية تاريخية استشرافية لظاهرة العنف في الجزائر، ص13.

نقاش حقيقي بين مختلف الأطر التي تشكل المجتمع الجزائري المعنى كله بأشكلة الهوية، هذا الإشكال الذي أوجدته سلسلة تراكمات تاريخية لن يجد طريقه للحل إلا بالمكاشفة الصريحة و الكاملة.

4- أبعاد الهوية في الرواية الجزائرية الحديثة:

أ- البعد الديني:

يعتبر الدين ركنا مهما تقوم عليه الهوية وذلك بوصفه شعورًا وجدانيًا يتضمن جميع المبادئ ومعتقدات والطقوس الدينية الخاصة بمجتمع ما، كما أنه ينظم حياة الإنسان بمختلف جوانبها.

كما تعتبر ركيزة من ركائز البناء الاجتماعي فهو الذي يحدد الاختلاف بين الهويات ويمكن تعريف الدين بأنه " ظاهرة اجتماعية في جانبها الموضوعية يتضمن العادات والتقاليد والمعابد والروايات المأثورة والمعتقدات والمبادئ التي تدين بها أمة أو شعب أو مجتمع ما"¹.

وفي تعريف آخر: "تمتد تعاليم الأديان لتشمل مختلف مجالات الحياة فهي تنظم علاقة الإنسان بالإنسان وتخطيط علاقة الإنسان بالحياة وكذلك علاقته بالكون الواسع"².

¹. نبيل محمد توفيق السمالوطي، الدين والبناء العائلي، دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة السعودية، ط1، 1981، ص45.

². المصدر نفسه ص46.

إذا فالدين ظاهرة اجتماعية تميز المجتمع عن باقي المجتمعات، ويحدد الاختلاف بين الهويات، ويقوم بترتيب حياة الإنسان بمختلف جوانبها، أي أنه يتضمن جميع المبادئ والمعتقدات والطقوس الدينية الخاصة بمجتمع ما يرتقي بها عن باقي المجتمعات أخرى.

وفي موضع آخر يعد الدين " من أهم العناصر التي تشكل المجتمعات وتحدد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وأراءهم بخصوص الطبيعة والإنسان والعلاقة بينهما، فالدين يولد شعورًا بالوحدة بين الأفراد الذين ينتمون إليه ويثير في نفوسهم بعض العواطف، فالدين من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد"¹.

يتضح لنا أن الدين هو الرابط المشترك الذي يوحد مجموعة من الأفراد يؤمنون بنفس المبادئ ويتبعون نفس العادات والتقاليد وينظرون إلى الطبيعة والإنسان بمنظور مشترك منبثق عن تعاليم وأفكار هذا الدين.

كما يعد الدين أيضا سمة متأصلة في النفس البشرية، مثلها مثل باقي الغرائز، ولا يمكن التعامل معه إلا وفق هذه النظرة وبذلك يكون له أثر مهم في النفس البشرية، نظرا للفترات الطويلة التي ارتبط فيها التفكير الإنساني بالدين، " فهو نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعًا"².

يعتبر الدين من أكثر محركات الهوية واستعمالاتها الوظيفية في التاريخ الجدلي للبشرية وينبني على عناصر أساسية (معتقد، طقس، النص)، " وتتصالب الإشكالات عموما في ظل تمركز الجدل حول الثوابت،

¹. محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص45.

². محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وخاصة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1991، ص32.

تواكب الدين وتواكب الهوية، فيما لا تعترف الحياة الاجتماعية بالثبات في طبيعتها أو في أنظمة العلائق
الناظمة لها"¹.

والدين الإسلامي من أبرز المقومات التي تقوم عليها الأمة، فهو الأرضية الخصبة التي تبني عليها
الحضارات، ويشكل انفتاح النفس على الآخر، لأن الإسلام يحترم جميع الرسالات السماوية لقوله
تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران/ الآية 64)².

فالإسلام هو المنبع الوحيد الذي يقوم ويني الهوية الإنسانية.

كما أن الدين يؤدي دورًا مهمًا في تحديد هوية الانتماء بين الأفراد أو الجماعة الخاضعة لتمثيل المنهج
نفسه الصادر عن عقيدة ربانية "هو المقولة المنتسبة إلى الهوية الأكثر انتشارًا فإن الهوية المحصل عليها،
إنما تتأسس قبل كل شيء على الانتماء إلى طائفة معينة"³.

فالدين يعزز جملة من القوانين ومسائل الهوية والانتماء، وذلك نتيجة التأثير بالمجتمع أو طائفة معينة،
تستمد إيديولوجيتها من كثرة الأفراد المنتمين إليها أو المنتسبين لهوية ما.

¹. صائب عبد الحميد، الدين والهوية وسؤال التغيير، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس.... والنقد.... والمستقبل، ص403.

². سورة آل عمران، الآية 64.

³. تائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، بحث في تأثير العولمة والانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات، مجلة القادسية في الأدب والعلوم
التربوية، كلية الآداب جامعة القادسية، بغداد، العراق، ع1، مج، 2009، ص260.

ونجد أيضا أن الدين يحقق وحدة الأفراد، فسيكون للدين أهمية فى بناء الهوية وعلى هذا الأساس نجد أن: " أهم عناصر الهوية الدين إذا تدوب فى الحروب الهويات المتعددة العناصر وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هى السائدة وغالبا ما تتحدد هذه الهوية دائما بالدين"¹.

من خلال هذا القول يتضح أن الهوية والدين مرتبطان ارتباطا وثيقا فى إيديولوجيا الفرد ويتجلى ذلك أثناء الصراعات السائدة كحروب مثلا، حيث تتلاشى كل الهويات المتعددة الأخرى وتبقى الهوية المؤسسة على الدين، فالدين أهم ركن يغذى إشكالية الهوية.

ب- البعد الثقافى:

يصعب فى الحقيقة تصور الهوية والثقافة كمفهومين واقعيين منفصلين "فما من الهوية إلا ويختزل ثقافة، والثقافة فى عمقها وجوهرها، هوية قائمة بالذات"².

فالثقافة هى علة وجود الهوية، لأن الثقافة تصنع الهوية.

ويصف "مراد زعيمى" العلاقة بين الهوية والثقافة قائلا: "لكل مجتمع ثقافة، ولكل ثقافة هويتها التى تنطلق منها وتخضع لها فى جميع نتائجها، وتتمثل فيما يمكن أن نسميه نسق القيم الإنسانية"³ فعلاقة الثقافة بالهوية تقوم على طبيعة ودور كل منهما فى حياة الإنسان وعلى التأثير المتبادل بينهما.

¹ . المرجع نفسه، ص259.

² . عائشة لصلح، الشبكات الاجتماعية والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب، ضمن كتاب السؤال عن الهوية فى التأسيس.... والنقد، ... والمستقبل، ص457.

³ . مراد زعيمى، الثقافة والعولمة بين التكيف والتفاعل، فى الجزائر والعولمة، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 2001، ص120.

الثقافة هي في مفهومها العام مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمعارف والأخلاق والفن يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع، ففي كثير من الدراسات نجد مصطلح الثقافة قد تناوله العديد من الدارسين فنجد مالك بن نبي يعرفها بأنها " مجموعو من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية الذي يؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا بالعلاقة سلوك مرتبط بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"¹. كما يرى "أليكس ميكشيللي" " أن المفهوم العام للثقافة " يأخذ طابع الشمولية على نحو واسع، ويشتمل في إطار عموميته هذه على الغايات المطروحة والمعلنة، فالثقافة في واقع الأمر كل مكتسب مشترك بين أفراد الجماعة، وتشمل أيضا على كل أشكال التعبيرات المختلفة والفعاليات المتنوعة، التي تنبثق على النظام المعرفي المكتسب"².

يتضح مما سبق أن الثقافة تمثل سائر المعتقدات والعلوم والمعارف، والفنون والأدب والقانون والأعراف، والعادات والصفات الخلقية والقيم الاجتماعية وغيرها، التي تؤثر في تكوين الفرد باعتباره عضو في المجتمع.

وكثيرا ما نجد مصطلح الثقافة مقترن بمصطلح الحضارة إلا أنهما متمايزين عن بعضهما البعض " فنجد أن الثقافة تعني رصيذا معرفيا، أما الحضارة فهي تارة واقع مادي ومرة أخرى تمثل نمطا أو سلوكا، ينظر إليه على أنه راق يتصف به عموما أهل المراكز الحضارية"³.

1. مالك بن نبي، مشكلة الهوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 2000، ص71.

2. أليكس ميكشيللي، الهوية، ص27.

3. محمد الزواوي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واعترااب منظور العلوم الاجتماعية، دار الكتاب الجديدة المتحف، بيروت، لبنان، ط1،

2006، ص43.

فالثقافة تتشكل عبر تطور الأجيال في المجتمع، أما الحضارة هي السلوك أي التصرفات ولا تقتصر على مجتمع بعينه وهي أيضا " نتاج فكرة جوهرية تطبع على المجتمع في المرحلة ما قبل تحضير الدفعة التي تدخل بها التاريخ"¹ ومما سبق يتضح لنا أن الفرق بين الثقافة والحضارة وهو أن الثقافة متحركة تخضع لتأثير وتأثر في زمن قصير، أما الحضارة فهي إرث ثابت يبقى حي، وإن تغيرت الثقافة، إذن الحضارة حاضنة للثقافة لمختلف مشاربها وأن الثقافة جزء من مقومات الحضارة.

يعتبر " مالك بن نبي " الثقافة إرثا إنسانيا يورثها الإنسان منذ نشأته في حين أن الحضارة خصوصية تاريخية فهي تتغير بتغير الحضارات ومن هذا التباين نستنتج أن الثقافة تكون ملازمة للهوية.

أما إذا تتبعنا مسار الثقافة في ظهورها فنجد " أن المجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة، إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء و العلاقات و إذا كانت كلمة الثقافة تنشر في كتابات الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة و الثقافة وهذا ما جعل ظهور الثقافة مرتبطا ارتباطا وثيقا بظهور الرموز أو العلامات التي تتشكل منها اللغة و من هذا المنطق تنشأ العلاقة بين اللغة و الثقافة، باعتبار اللغة الوعاء الذي يحمي الثقافات و العادات و أن الثقافة أيضا تضم داخلها اللغة باعتبارها مكونا ثقافيا لأي أمة"².

1. مالك بن نبي، مشكلة الهوية، ص72.

2. كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، دراسة لنثر ولغوية الألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص57.

ومن هذا المنطلق يرى بعض الباحثين أن " نشأة الثقافة وتطورها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره، والعمل على تأهيل خبراته هو حفظها وتواصل هذه الخبرة من جيل إلى آخر"¹.

يتضح من خلال هذا القول أن الثقافة تتلازم مع اللغة من حيث النشأة، فإذا كانت لغة أداة تواصل واتصال مع الأفراد فهي بدورها تنقل هذه الثقافة المكونة لمجتمع عبر أفرادها بواسطتها وهذا ما يؤدي إلى استمراريتها.

ونجد تيلور حذا إلى تعريف الثقافة بقوله: " ذلك الكل مركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع"².

ومن هذا التعريف نجد أن مفهوم الثقافة يعني مجموع العناصر التي يتشكل منها المجتمع من معتقدات والتقاليد يكتسبها الإنسان حتى يصبح عضوا له حق الانتماء في مجتمعه.

وتعريف الثقافة لا يتسم بالجمود والثبات، إذا أن الثقافة حالة متحركة تخضع لتجاذبات لقاءها بالثقافات الأخرى، والثقافة العربية ليست بمنأى عن مثل هذه الديناميكية وأنها كثيراً ما وسمها أصحابها بمصطلح الغزو الثقافي في مقولته: " إنَّ الغزو الثقافي هو أخطر أنواع الغزو جميعاً"³.

¹. مصدر نفسه، ص58.

². محمد النوادي الثقافة وتأسيس الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، دار الكتاب الجديدة، المتحف، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص44.

³. مرجع نفسه، ص19.

نجد أن هذا الغزو يتمثل فى دخول الثقافات و أفكار غربية للبلدان العربية، و يتأزم الوضع إذا مس هذا الغزو أهم العناصر التي تكون جوهر هويات الأفراد و بالتالي سوف تحل هذه الثقافات محل ثقافتنا العربية من عادات و تقاليد و أعراف ثقافية تميزت بها الأمة العربية عن بقية الأمم الأجنبية، و بالتالي تفقد هذه الخصوصية أو بأخرى هذه الهوية، لأن الثقافة تمثل جزءاً كبيراً و مهماً فى تكوين الهوية و هذا ما يؤكد القول الآتي: " للثقافة أهمية باعتبارها نبعاً يغذي الهوية الفردية و الجماعية و بالتالي تتحول الهوية إلى إستراتيجية تستخدم الثقافة و تغيرها لتصبح مختلفة عما كانت عليه من قبل و يستخدم من أجل الصراع و نفي الآخر"¹.

إذن لابد للثقافة أن تملأ حاجة لدى كل فرد داخل كل مجتمع والثقافة متحركة من مجتمع إلى آخر مجتمع أقوى إلى مجتمع أفل قوة وانتقالها من مجتمع أقوى إلى مجتمع أضعف يؤدي إلى سيطرتها على تفكير أفراد والسيطرة عليهم وبالتالي نفي الثقافة السابقة أو نفي الآخر.

ومن هذا المنطلق عدت الثقافة أداة صراع بين الشعوب باعتبارها الذخيرة التي تنهل منها الهوية، ولأن هذه الذخيرة كثيراً ما تكون النواة التي تنفجر منها الصراعات لأنها تمثل صورة تعكس حضارة شعب من جميع جوانبه والغاية من هذا الصراع هو القضاء على هذه الهوية واستبدالها بمعطيات جديدة حتى تصبح تابعة لا متبوعة ويعتبر هذا خدشاً فى أعماق الهوية الجزائرية.

¹. محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية، قضايا اللسان والهوية، دار تالة، الأبيار الجزائر، د.ط.د.ن، ص105.

وعليه فإن الهوية الثقافية هي "سائر الخصائص والمميزات والمكونات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي تنفرد بها ثقافة ما، تمتلكها جماعة بشرية ما، تتميز به هذه الثقافة عن غيرها من الثقافات الأخرى، وتحدد ماهية الجماعة البشرية وتميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى"¹.

تجمع الهوية الثقافية إذن كل ما هو مشترك بين أفراد المجموعة والانتماء لثقافة يعبر بالانتساب لقيم ومعايير هذه الثقافة.

ت- البعد اللغوي:

تعتبر اللغة وسيلة للتواصل والتفاهم بين المجموعات البشرية، وهي أيضا تعبر عن كيات الأمة العربية لأنها لغة القرآن، إذ تعتبر ميزة يختص بها كل فرد في مجتمعه عن الأفراد الأخرى، لا محالة أن الهوية مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة العربية.

فاللغة إذن هي العنصر الأساسي للهوية والمكون الرئيسي للثقافة، فهي قوام الثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية ليست لغة تواصل وأداة فحسب ولكنها لغة فكر أساسا"².

وأیضا تعد اللغة ظاهرة اجتماعية شاملة تعبر عن الروابط الموجودة بين الأفراد وعن العالم الذي تنسب إليهم خبرتهم³.

¹. بويكر جيلالي، اللغة والهوية والعولمة، معركة المفاهيم، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس...والنقد.... والمستقبل، ص174.

². عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام الإسكندرية، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص89.

³. المرجع نفسه ص31.

فاللغة لها أهميتها وذلك لما تحمله من دور فعال فى المحافظة على جوهر الثقافة والحضارة إذ تكمن وظيفتها فى التواصل مع البشر الماضى والحاضر واللغة مرتبطة بالثقافة.

" فالظواهر الثقافية هي موضوعات تواصلية وأنساق دلالية وثقافية عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها"¹ ومن هذا القول يمكن أن تؤدي الثقافة وظيفة تواصلية بما تحمله موضوعاتها من دلالات إيجابية وعليه الثقافة تعادل اللغة فى الوظيفة.

تجمع اللغة بين أبناء الوطن والأمة أو الحضارة وتنشأ وتنمو مع الإنسان وبالتالى تكون ملازمة لهوية الإنسان وصوته المعبر عن فكره ووجدانه وعلى ثقافته وتراثه وعن جماعته وانتمائه "وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأم أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعباً أصيلاً أو مجرد شتات فحسب"². فالمراد هنا أن الأمة تحدد قيمتها من خلال لغتها وبقدر عراقتها وصمودها وبقائها فرغم الأزمات والانتكاسات فى بعض مفاصل تاريخها إلا أنها بقيت محافظة على قدسيتها.

وهناك أيضاً من يقول فى هذا الصدد أن " وحدة اللغة هي الوسيلة الأمة فى تدعيم ثقافتها وتعزيز تراثها وتعميق هويتها وتوجيه قدرتها على الإبداع والتجديد فى مختلف العلوم"³.

أي أن اللغة تعزز وتقوي التراث والثقافة فهي دائماً الإشعاع الحضاري الذي أعم أجزاء شتى فى مجالات الثقافة العربية والفكرية وكذلك فى مختلف الاختراعات العلمية.

1. فيصل الأحمر، الدليل السيميولوجي، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011، ص108.

2. ينظر: عبير بسبوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة فى غياب المواطنة وبروز الطائفية، ص31.

3. محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للطباعة و النشر، مصر، ط1 2009.

للغة أثر بالغ في منح الهوية قيمتها، فلها أهمية في بناء الهوية العربية وتحتكم اللغة إلى معنى آخر بأنها " وعاء يضم بين جوانبه أشياء حية وحقيقتها بأنها أداة خاصة، ولا تصلح لاستيعاب كل شيء ولا يصلح لكل الناس"¹.

ومن هذا القول نستخلص بأن اللغة هي جامعة لكل المعتقدات والعادات والتقاليد المجتمع العربي إضافة إلى خصوصية الاجتماعية إذ أن لكل مجتمع لغة خاصة به وهي ماهية وحقيقة أمة جامعة في ميزتها عن جماعات الأخرى.

ومن الباحثين من يرى بأن " اللغة وعاء الثقافة، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهوية، ومن هنا كانت اللغة من أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة وكل ما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية أمة وحملها"².

نجد أن أهم عوامل صمود اللغة العربية بأنها تضم في داخلها ثقافة وهذه الأخيرة هي ركيزة الحضارة وكون الحضارة هي التي تعبر عن الهوية، إذن اللغة بصمات حية في كل المواقف الإنسانية وبالتالي فهي العمود الفقري لتشكيل الهوية العربية عامة والجزائرية خاصة.

¹. ينظر: عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) (د.ب) (د.ت)، ص96.

². فيصل الحفيان، اللغة والهوية واشكالات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التسامح، العدد الخامس.

الفصل الثاني:

صراع الهوية في ديوان الإسبرطي

1. الديوان الإسبرطي وملامح الهوية:

بالعودة إلى رواية "الديوان الإسبرطي" فإننا سنجدتها تنتمي إلى الرواية التاريخية، التي يعرفها معجم روبر "Le Robert"، "بأنها الرواية التي تستعير حبكة من التاريخ"، أما معجم لاروس "La rousse" فيعرفها على أنها "الرواية التي تستوحى موضوعاتها من التاريخ، وهي صنف روائي معروف ابتدعه الغرب، و تسلحت الرواية بالأدوات المعرفية و الفنية اللازمة لهكذا عملية، و إذا كانت الرواية الجزائرية أكثر من تناول حقبة التحرر من الاستعمار الفرنسي (1954-1962)، بوصفها حقبة استيراد الهوية الوطنية فإنّ "الديوان الإسبرطي" اختارت التصدي للحقبة المظلمة من تاريخ البلاد، و مساءلة أسباب الانهزام أمام مشروع استعماري أجنبي شرس، سعى منذ اللحظة الأولى إلى تجريد البلاد من هويتها الوطنية، و عزلها عن الامتداد الثقافي العربي و الإسلامي فيها.

إذا لم تطرح رواية "الديوان الإسبرطي" غير قضية الهوية لكانت كافية لأنّها وهي تغوص في تاريخ المدينة وتخبّر حنايا التشكيل الثقافي لمجتمعنا ومكوناتها قد ناقشت هذه القضية ورسمت اللوحات المشكلة لهذه الهوية رسميا واقعيًا واضح المعالم، سواء من الشخصيات وأسمائها، أو من قبيل المذاهب الدينية، أو من قبيل المعتقدات السائدة، ووسط ذلك كله لم تغفل الرواية القضية اللغوية في الجزائر، وهي جوهر القضية الثقافية فيها ولب قضية الهوية وبناء الشخصية.

أ- الزمان:

1-الزمن: يمتد زمن الرواية على مدار ثلاث سنوات بدءًا من وصول الأسطول الفرنسي سواحل

الجزائر، وانتهاء بانسحاب الأمر للمحتل داخل البلاد، وتحكي الرواية قصة الجرح الجزائري النازف

خلال هذه السنوات الثلاث، وبالعودة إلى الرواية فإننا نحاول فيما يلي دراسة الترتيب الزمني

فيها.

والذي يعني: "مقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث

أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة"¹، ويتم هذا عن طريق تتبع مفارقتي الانسياق والاسترجاع في الرواية.

إن ما يلفت انتباه القارئ لرواية "الديوان الإسبرطي" هو ذلك التحريف والتعريب لقلب التسلسل

الزمني حيث يسرع الكاتب في الانتقال بين الأزمنة دون الإخلال، ففي المقطع التالي ينقل السرد من

الماضي إلى الحاضر بسلاسة، يقول على لسان "دوجة": "قام المزوار من على الأرض ينفذ على نفسه

الغبار، ويسرع الخطو باحثًا عن أعوانه، والنساء تجمهن حول السلاوي، حال غضبه إلى خجل،

قبض على ذراعي وقادني إلى نهاية الحي حيث كانت تقيم زهرة اليهودية عندما لامست لالة سعدية

كتفي كنت غائبة عما حولي، والعروس في يدي"².

إذ ينقلنا الكاتب مباشرة من الماضي، حيث تسترجع "دوجة" إحدى ذكرياتها مع السلاوي، إلى الحاضر

في مشهد حديقتهما مع "لالة سعدية" في بيتها.

1. جيرار جنين، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر، محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص47.

2. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص82.

مقطع آخر لـ "دوجة" مزج فيه الكاتب بين الماضي والحاضر يقول: "بعد رحيله حدثني لالة زهرة عن أشياء كثيرة عن السلاوي، بدت غامضة في البداية ولكن بعد سنوات وعيت ما هجس به السلاوي (...). يظل السلاوي يشغلني، بينما تشتغل لالة سعدية بزوجها، تدنو منه في محاولة أخيرة لعله يعدل عن رحيله"¹.

انتقل السرد من استرجاع "دوجة" للحديث الذي دار بينهما وبين "لالة زهرة" حول "السلاوي" الذي يشغلها، إلى الحاضر حيث تشتغل "لالة سعدية" بمحاولة إقناع زوجها بعدم الرحيل.

إنّ هذا الانتقال بين الأزمنة يحققه الكاتب من خلال توظيفه لمفارقة الاستباق والاسترجاع.

سبقت الإشارة إلى أن الاسترجاع يعمل على استعادة أحداث ماضية، في رواية "الديوان الإسبرطي لعبد الله العيساوي" توجد أمثلة كثيرة تشير إلى عملية الاسترجاع في الزمن و من ذلك: "اثنا عشر عامًا انقضت على موت نابليون و ثلاث سنوات بعد سقوط الجزائر، الناس تناسوا ضجيج السنوات الماضية، و زيارة ولي العهد، آه آسف لم يعد أن انقلبوا عليه و صار هو الآخر منفيًا أو ضلا ضليلا تبدد في الذاكرة الضعيفة للناس، لا فرق بين عشرين دقيقة أو عشرين عامًا ديون... ديون يتناهى لي صوته يناديني من خلف الحجب، ساخرًا من أوهامي، خيل لي، أنه خلفي و فجأة التفت أرى وجوهًا لا أعرفها تخبي أجسادها داخل معاطف صوفية تجوب الشوارع في عجالة، يمتد بصدى إلى نهاية الطريق حيث الزرقة و الميناء، يتراءى لي صديقي القديم هناك واقفًا يدخن غيلونه"².

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص86.

² عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص13، 14.

لقد جاءت هذه اللسانيات على لسان كافياري يسترجع بها السنين التي انقضت بعد سقوط الجزائر، كما بين لنا هذا مقطع الاسترجاع الخارجي، " لو قدر للذاكرة إعادة ما حدث في ميناء طولون قبل ثلاث سنوات ستشي حتما بأنهم كانوا أكثر من هؤلاء بالرغم من أن الأهواء كانت مختلفة، بالأمس الكل ينتفض من أجل شمعة هذه الأمة العظيمة حين أهين قنصلها"¹.

تدرج الكاتب في تقديم الذي حدث قبل سنين مضت التي عاشها الناس في زمن صعب ملئ بالحن والظلم.

كما نجد استرجاع "ابن ميار" لمعرفته بـ "ميمون" قبل سنوات بعيدة عرفت ميمونا، رأيته في سوق الميارين يجمع القمح"².

وهو مقطع عاد فيه "ابن ميار" إلى ماضيه البعيد، مستعين بمعرفته بـ "ميمون" في سوق الميارين.

استرجاع آخر جاء على لسان "السلأوي" " في السنوات الأخيرة سيطر اليولداش على المحروسة وصار الرياس محتقنين من حياة البر، إذا أكثر الباشا من المواثيق (...). استعدت كل تلك الحكايات وأنا أعبر باب عزون فار اتجاه الشرق"³.

1. المصدر نفسه ، ص29.

2. المصدر نفسه، ص58.

3. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص64.

كما يظهر في الرواية أحداث لم تظهر بعد، إلا أنه يشرف أو يتوقع حدوثها بقول "ابن ميار" لو وقف الباشا اليوم معي في شارع المحروسة الكبير لكان حزنه أكبر وهو يرى الجنود يعبرونه جيئة وذهاباً¹. ف"الباشا" لم يقف في شارع المحروسة ويحزن عليه إنما "ابن ميار" يتوقع ذلك، وكذا استباق السلاوي أثناء حديثه مع "دوجة" "سأرحل إلى الغرب حيث مدينة الأمير وحين تستتب الأمور هناك سأعود لاصطحابك، تيقني من ذلك"². ويمكن القول بأن تقنية الاستباق كان حضورها جذاً في الرواية، وهذا طبيعي.

ب- المكان: هو أحد العوامل الأساسية التي تقوم بها الرواية، إذ يستحيل أن تعثر على نص روائي بدون عنصر المكان.

● وتمثل للمكان المغلق من الرواية ب:

الغرفة: تصف "دوجة" إحدى شخصيات الرواية غرفتها في بيت "ابن ميار" وهي تستعيد ذكرياتها مع السلاوي. "عرائسه القبيحة مازالت في حضني، أتأمل جدران الغرفة الضيقة، مال بياضها إلى الصفرة وتقرش جزء منها، يخفق قلبي كلما أعدت سيرته... لكن السلاوي خلفني وحيدة في هذه الغرفة الضيقة، يقابل وجهي السطح، وأعد أعمدته، عنكب مسرعة على شباكها، رأيت الخطوط الشفافة لها عبر الضوء المنبعث من كوت في الجدار"³.

1. نفسه، ص53.

2. نفسه، ص362.

3. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص79.

يؤكد الكاتب على ضيق الغرفة، فأورد عبارة "الغرفة الضيقة" مرتين في نفس المقطع، فنجدها استعادت فيها سيرة "السلأوي" الذي خلفها وحيدة في الغرفة، وبالنسبة لـ "ابن ميار" فقد كانت الغرفة فرارًا له "الجميع عادوا إلى غرفهم، فخطوت تجاه غرفتي، أملا أن تغادرنى الخواطر، لكنها ظلت تتكاثر، حتى وأنا متمدد على فراشي، وأحلم بغدٍ مختلف، لا أسمع فيه رطانقهم، سحبت محفظتي حينها، وطفقت أبعثر العرائض حولي، شكايات أهالي المحروسة تتحول أمامي إلى حقيقة (...). فملت برأسي على الوسادة، وتجاوزت الباب الذي يفصل الحقيقة عن الحلم"¹.

احتمى "ابن ميار" بغرفته أملا في الهروب من شكايات أهالي المحروسة والتي كانت تجتاح خواطره، ومن الأماكن المغلقة كذلك:

السجن: الذي شكل مادة خصبة لدى الروائيين، وقد أخذ هذا الحيز المغلق مساحة من الرواية من خلال شخصية الرواية الذي يوصف مرارة السجن وما قساه من ألم إذ يقول: "كنت أتحمس القيد في الظلمة الحبس الذي لم أستطع تحديد مساحته، وتوقعت كم كان ضيقا، مزيجا من الروائح الكريهة للأجساد ورائحة البول تعبئ الغرفة، والتي تزداد ضيقا حينما تضغط الأجساد أكثر على صدري... لا مساحة للحركة"² ويضيف أيضا مساحة السجن: "أيعقل أن يحتل ثلاثون شخصا غرفة عرضها مثل

¹. المصدر نفسه، ص133.

². عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص111.

طولها ثلاث أمتار! كنا محشورين بعضنا فوق بعض مثل السمك في الصناديق الخشبية"¹. ليخلق هذا المكان عند "كافيار" عقدة نفسية لأزمته في حياته.

القبو: هو مكان مغلق تجلى في الرواية من خلال وصف للسلاوي له الذي اختبئ فيه في قوله "جاست عيناى جدران القبو، ثم أطلت منها تفاجأت بالسقيفة الضيقة...، حدقت طويلاً إلى الحائط الذي قابلني من الكوة، وددت لو أبصر نهايته، فسحبت كرسيًا قديماً، إرتقيته بصعوبة وأطلت، وإذا بي أراها تمتد بعيداً من الجهتين، بيد أنّها كانت مغلقة أيضاً من المن الجهتين، وزاد استغرابي إذ لم تطل عليه أي نافذة أخرى، لم أفهم الغرض من هذا الشكل المغلق من الجهات كلها"².

لقد كان هذا المكان تقييداً لروح السلاوي فراح يقبس عن حل للازمته، وفي رواية "الديوان الإسبرطي" يمثل التعسف الذي يقوم به الفرنسيون في حق الجزائريين ويتم قتلهم ونجد ذلك في الرواية. "يغريك كي تحفر القبور وتأكل عظام إخوتك"³.

● المكان المفتوح: على عكس المكان المغلق، يضم عددًا كبيرًا من الناس، وقد جاء

الكاتب بتوظيف عدة أماكن مفتوحة منها:

مدينة الجزائر: المدينة معرف بأنها مكان مفتوح، وقد ورد في الرواية وصف لـ "مدينة الجزائر"، كما جاء على لسان "دوجة" التي تقول: "مشيت في شوارعها حافية، وظللت أجوب السقائف والدروب الحجرية،

1. نفسه، ص114.

2. نفسه، ص359، 360.

3. نفسه، ص17.

غير مصدقة نفسي، كأني في حلم، إذن هذه هي المحروسة التي تملأ حوانيتها بالطيب، والقماش الحريري، وحلوى الطحين ! وعبرت شوارعها أخرى حتى كنت في باحة واسعة، بها أناس كثيرون وعلى أطرافها حوانيت، هذا هو سوق المحروسة الذي حدثني عنه أبي¹.

كذلك تم وصف الجزائر على لسان الفرنسي "ديون" واصفا إياه بقوله: "هل كان ما رأيت حيويا رخام أم مدينة؟ لم أتبينها إلا ونحن ندنو أكثر منها، فأرى سورها في شكله الغريب يحيطها، ومنارات تشهق في سمائها، والأبنية مصفوفة بانتظام بعلوها قباب كثيرة، من هنا تراءت لي صفوف من الشوارع المستوية، وخارج الأسوار توزعت حدائق مصفوفة، تحيط قصور" شهقن منازلها هي الأخرى من هناك، فركت عيني غير مصدق ما أراه، أفعلا هذه هي المدينة التي حدثونا عنها ورسوموا الصورة المخيفة لها؟"².

وورد أيضا وصف لـ "مدينة الجزائر" على لسان "كافيار": "ما أذكره أننا في اليوم الأخير كنا في سطح السفينة، وشاهدنا في الأفق مدينة الجزائر، تراءت لي من بياضها الرخامي شكلها المثلثي المنحدر، صفوفها من السطوح، يرتفع بعضها فوق بعض، وتنوزع القباب والمنائر والقصور داخلها، وكلما اقتربنا تزداد وضوحًا"³.

وبالتالي فقد أغرق الكاتب في وصف مدينة الجزائر مع ذكر أدق التفاصيل خلال وصفه لها.

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص235.

² نفسه، ص187.

³ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص42.

شوارع فرنسا: حيث ورد على لسان "ديون" الذي يقول: "أحث الخطى وانعطف يمينا إلى شارع جانبي، ثم شمالا إلى آخر، ويقابلني مبنى المسرح الكبير، أعدّ أعمدته الستة وأفرمنه إلى بقية الدروب أخطوها مسرعًا كأنني مطارد، أتجاوز مبنى المسرح إلى شارع أوسع يقودني منعطفة الثاني إلى الشارع فتور، وما إن أعبّر مدخله حتى تقابلني لافتة الجريدة"¹.

في هذه الجملة وصف دقيق لمدينة مرسيليا وشوارعها، كما يأتي وصف آخر لهذه المدينة على لسان "ابن ميار" معجبا بما فيقول "حملتنا العربة إلى باريس، وقد تراءت لنا الحقول من حولها ممتدة انعطفنا عبر درب في اتجاه مغاير، تحوطه الأشجار على جانبيه"².

ومما سبق ذكره نرى أن المكان قد أخذ دور البطولة في الرواية.

ت- الشخصيات:

تعد الشخصية من أكثر الأليات الروائية التي اتخذت حيزًا واسعًا من التعريفات، وتنوعت شخصيات الرواية فنجد:

1-الشخصيات الرئيسية: لعبت دورًا مهمًا في مجريات الحملة الفرنسية وأخفت الرواية أسماءهم الحقيقية،

الشخصيات الخمس هي شخصيات تاريخية وتناولت على رواية الأحداث وهي:

¹. المصدر نفسه ، ص15.

² المصدر نفسه، 285.

أ- **دييون:** صحفي فرنسي، يعمل كمراسل لجريدة "لوسيمافور دو مرساي" أجرى حوار مع "الداي حسين" في باريس بعد احتلال الجزائر يقول: "في باريس لن يرغب فيك أحد الآن، لم ينسوا ذلك الحوار الذي أجرته مع الباشا المخلوع أثناء زيارته إلى باريس، أتذكر من كان ذلك؟ أياماً فقط بعد فرارك من الجزائر"¹.

كما تبرز شخصية "دييون" المسالمة كذلك في رفضه لمشاهد القتل والدماء حيث ساءته وحشية بلاده فكانت أعلى أحلامه ألا يسفك المزيد من الدماء إذ يقول: "صليت في نفسي كي لا يسيل مزيد من الدم، وتستسلم المدينة دون مقاومة، خشيت أن يتكرر ما حدث في سطاوالي، حينها لن أسامح نفسي أنني سرت في ركاب الحملة، وسيلازمي تأنيب الضمير ما حييت"².

ب- **كافيار:** قائد عسكري فرنسي متمثل بـ "نابليون"، كان من الضباط الذين رافقوه في رحلة بحثه عن مجده الشخصي، شرع مباشرة بعد تحريره في إعداد خطط لغزو الجزائر، فقام بجمع بيانات الإقلاع، الحصون، القبائل، وحتى بطريقه مستقصية، يقول محدثاً نفسه "الآن يا كافيار بدأت رحلتك في رد الصفعات وضربات السياط، ستعيد رسم الخرائط، بل إنك ستشارك في تغييرها، عليك الآن أن تصغي لكل الأصوات والهمسات والإيماءات، عليك الإيمان فقط، أن كل شيء من حولك الآن سيعينك على غزو هذه المدينة"³. كان صديقاً لـ "دييون" ولكنه

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص26.

² نفسه، ص254.

³ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، مصدر سابق، ص199.

على النقيض منه، إذ "ديون" يميل إلى السلم، بينما "كافيار" يحاول تحقيق أهدافه و حتى لو كان بافتعال الحروب.

ت- ابن ميار: تاجر جزائري و كاتب في الديوان، يصوره الروائي شخصية موالية للأتراك و من المقربين إلى الباشا، حيث يصف حاله قائلاً: "قد أصبحت وحيداً يا ابن ميار، لا مال و لا سلطان تكاد تكون فقيراً بعد ما سلبوا منك كل شيء، التجارة و الضياع و حتى الأصدقاء"¹ عند دخول الفرنسيين أخذ على عاتقه مهمة نقل الانشغالات الأهالي إلى السلطات الفرنسية و الدفاع عنهم، حتى أنه ذهب إلى باريس لطلب لجنة تحقيق لرد المساجد نحو ما جاء في الرواية: "لكنك تظن تعتقد أن بعراضك ستعيد المجد لهذه المدينة بعد رحيل بني عثمان، ثم تناقلوا عن سماع شكواك و شكوى أهلك"² كان ميالا إلى الوجود العثماني في الجزائر، لدرجة تأثر برحيلهم، انتهى به منفيًا في إسطنبول.

ث- حمة السلاوي: صوت الجزائر الثائر، مناهض لأي وجود في الجزائر تحت أي شكل كان، إذ لا فرق له بين العثمانيين أو الفرنسيين فكلاهما محتل للجزائر، حيث صور الروائي "حمة السلاوي" شخصية غير مستقرة تتوارى من بين الحجب والجدران للمدينة حيث يقول: "كان مقدراً عليك يا حمة الركض طوال عمرك، منذ كنت صغيراً، لا يحتمل التجار رؤيتك... لكنهم مع ذلك كانوا معجبين بالشجاعة التي تواجه به الأتراك"³.

1. المصدر نفسه، ص49.

2. نفسه، ص49.

3. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص65.

ولعل ارتباط حياة السلاوي بالركض والهروب الدائم سواء في العهد العثماني أو الفرنسي توحى بغربة هذه الشخصية التي قهرتها ظروف المدينة، لما تعرضت من الحواجز وهموم في مدينة مورست عليها كل أشكال الهيمنة¹. ظل يفرض الناس على الثورة، حتى ظهر الأمير فالتحق بجيشه ليطرد الفرنسيين.

ج-دوجة: الصوت النسائي الجزائري يصورها الكاتب على أنّها فتاة جميلة بسيطة ذات الصوت العذب على وصف السلاوي الذي يقول: "تذكرت صورتها أول ما سمعتها تغني في العرس، كان اللباس نفسه الفستان الأبيض المائل إلى الصفرة، تغطي شعرها بخمار مشنشل تتدلى خيوطه الوردية على جبهتها"² كما تجسد "دوجة" شخصية المرأة الجزائرية في ظل الاستعمار الذي أنهك كرامتها على أيدي الأتراك، فهي مرتبطة بعلاقة حب مع السلاوي فترفض الرحيل مع "ابن ميار" وزوجته وتبقى في الجزائر في انتظار السلاوي بعد التحاقه بالجيش.

2- الشخصيات الثانوية لو تكن هذه الشخصيات رئيسية لكنها لعبت دوراً هاماً ونذكر من بينها:

أ- لالة زهرة: مغنية أعراس يهودية في الأربعينات من عمرها التحقت "دوجة" بفرقتها الغنائية ومكثت في بيتها.

¹. ينظر: عبد الرزاق بوقطوش: دلالات بعث التاريخ وهاجس الهوية في رواية الديوان الإسبرطي، لعبد الوهاب العيساوي، جامعة أوت 1955،

سكيكدة، الجزائر، 2020، ص170.

². المصدر نفسه، ص368.

ب- لالة سعدية: وهي زوجة "ابن ميار" التي ساندت زوجها في مسيرته النضالية كما فتحت دارها أمام "دوجة" التي كانت كالأم وافترقا بعد نفي "ابن ميار" "تقف لالة سعدية يوم رحيلي إلى جانبي، وتقبلني على جبھتي، تبكي لا تريد فراقِي، لو كان الأمر بيدي لرحلت معها، سحبت من صندوقها قلادة ذهب تحمل مصحفا صغيراً علقتها في عنقي وضممتني إلى صدرها فبكيت"¹.

ت- المزوار: وهو مسير المبغي، يحمل صفات الظلم والنفاق يتقاطع مع شخصيتي "دوجة" وكان "ضابطاً مسؤولاً عن المبغي، يُعَدُّ نساءه ويحصل الضرائب منهم، وظل محتقراً من الجميع، حتى من الخزناجي الذي يجني له دراهم البوجو"².

ث- ميمون: هو شخصية انتهازية، همها الوحيد مصلحتها الشخصية كان من بين الأعضاء الذين قدموا معاهدة الاستسلام للفرنسيين يقوم بدور المترجم وخلالها حاول خيانة الباشا.

ج- إسماعيل: أحد "السيمونين" القادمين إلى الجزائر باحث عن تحقيق أحلام زعيمهم "سان سيمون" في نشر السلام والعدل في العالم.

ح- دوبورمون: وهو قائد الحملة الفرنسية الذي خسر ولديه خلال تلك الحروب، فجاء وصفه على لسان "ابن ميار": "لم يكن القائد بورمون ذلك الذي لقيته قبل شهرين، إذ تغير بعد موت ولده الثاني في وهران، يحدق تجاهي وكأنه لا يراني، فأرحل عنه"³ لينتهي الأمر به معزولاً متعباً.

1. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص384.

2 نفسه، ص55.

3. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص276.

إضافة إلى شخصيات أخرى كذلك مثل: شخصية لالة مريم، توماس، قائد روفينغو، كلوزيل، الباشا، القنصل السويدي... وغيرهم كثير.

وعليه يمكننا أن نستنتج أن عبد الوهاب عيساوي في رواية "الديوان الإسبرطي" قد أصاب بشكل دقيق في تقديمه للشخصيات، إذا اعتمد على تقنية تعدد الرواة وقد كان انتقاله بين هذه الشخصيات وربطه في منتهى الانسجام والتناسق.

2- خصائص الهوية في رواية الديوان الإسبرطي:

كل شعب يتميز بهوية خاصة تفرد بها و التي تحدد انتماءاته القومية و الحضارية، و كذلك هو الشعب الجزائري تتميز بهويته الإسلامية العربية الأمازيغية، فهذا الشعب تميز بأصوله الأمازيغية فالأمازيغ كما ذكرت الكتب التاريخية فهم السكان الأصليون لشمال إفريقيا، بمجيء الإسلام مع الفتوحات الإسلامية، استعرب جزء من الأمازيغ بتبنيهم اللغة العربية لغة القرآن و الدين الإسلامي و بقي الجزء الآخر محتفظا بلغته الأمازيغية رغم الأطماع الاستعمارية المتكررة فقد تعاقبت العديد من الحضارات على الجزائر من وندال، و روم، و بربر، و فينيق إلى ظهور عدة دول كالموحدية و إن تتابع كل هذه الحضارات ادخل الجزائر في صراع دائم بحثا عن هويتها التي تميزها عن الغير، إلا أن الشعب الجزائري تمكن من الصمود و تصدى لمختلف السياسات الهادفة للقضاء على هويته الثقافية و اللغوية و الحضارية، خاصة فترة الاستعمار الفرنسي فقد عمل هذا الأخير و بمختلف الطرق و الوسائل منتهجا سياسة التفريق لبث

النزاعات و إحاكة المؤامرات ضد الشعب الجزائري، بتشكيك في مقومات ثالث الهوية الوطنية الخاصة به.

وقد اعتمد الروائي الجزائري عبد الوهاب عيساوي في روايته الديوان الإسبرطي على تصوير فترة من فترات اشتداد الحكم وشراسة الجزائريين من أجل استرجاع حقهم المشروع المتمثل في الاستقلال وكان ذلك خلال فترة الممتدة من بداية 1815 إلى غاية 1830 حيث اعتمد الروائي الغوص في أعماق تاريخ الجزائر وكشف ما كان مخفيا عنه من خلال خمسة أصوات روائية لكل منها وجهة نظر مختلفة عن الأخرى، تاركة للقارئ حرية تخيل الموقف الذي يتوافق مع نظرتة.

أ- الدين:

يعتبر الجانب الروحي للإنسان من أهم الجوانب في الهوية وهذا الجانب يغطيه " الدين والشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادات والتقاليد، من دان به، دان بالشيء، أي اتخذ ديناً ومذهباً، أي اعتقده أو اعتاده، ودان بالإسلام ديناً، أي تعبد به وتدين، وهو الدين أو الملة، المتعدي بالباء يمثل الطريقة أو المذهب الذي يسير عليه المرء نظرياً وعلمياً، وهو المنهج الذي يتبعه في علاقته أو عبادته أو خضوعه إلى الحاكم والسيد والمالك"¹.

"إن الحديث عن المجتمع المغاربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة يفرض علينا الحديث عن الدين الإسلامي، باعتبار أننا مسلمين وله تأثير قوي في حياتنا كلها.

¹. محمد الزحيلي: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية 1991، ص15.

ويرى الباحث "محمد الزحيلي" أثناء تحديده لعلاقة المسلم بدينه " أن التعريف ينص على أن الدين عقيدة وشريعة أو عقيدة ونظام حياة، فهو مجرد اعتقاد بل هو الاعتقاد الحق والإيمان الصحيح الذي لا يشوبه شيء، وهو ليس مجرد شريعة ونظام فحسب بل هو نظام رباني وشريعة إلهية لضمان الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة".... ويشير "محمد الهرماسي" قائلا: "إلا أن أهمية الإسلام بالنسبة إلى منطقة المغاربية خصوصا وحضوره المتزايد في الحياة الاجتماعية والثقافية، وحتى السياسية"¹.

فالدين أهم عنصر يدخل في تكوين هوية الشعوب و الأمم، و يظهر في الرواية من خلال فكرة صراع الأديان، فتلاحظ صراعا بين الدين الإسلامي و الديانة المسيحية و بما أن المساجد هي منبع الروح السوية، ففيه يتعلم الجزائري العلم، و تعاليم الدين الإسلامي، و لذلك استهدفته فرنسا، لطمس أهم المعالم التي تساهم في تكوين هوية الشعب الجزائري، فحاولت القضاء على الدين الإسلامي، و محو كل ما له علاقة به، حتى تجهل من جهة، و من جهة أخرى فالمساجد و الزوايا كانت مصدرا لجمع المال من أجل دعم طلاب العلم، و بذلك عرقله فعاليتها و الهدف الخفي هو تجهيل الشعب الجزائري.

فالاستعمار الفرنسي عندما غزى الجزائر كان هدفه الأول هو محو الهوية العربية الجزائرية الإسلامية، محاربة الدين الإسلامي، ونلاحظ من خلال أحداث الرواية محاولة الروائي رصد كل تلك الممارسات القمعية

¹. خليف هوارية تمثلات الهوية والأخر في الرواية الجزائرية، أطروحة الدكتوراه، نخ، الرواية المغربية والنقد الجديد، جامعة الجبلالي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018م.ص27.

تجاه المقدسات الإسلامية في الجزائر، فقبل الاحتلال الفرنسي كانت " الكتاتيب والمساجد والزوايا منتشرة في جميع أنحاء البلاد يتلقى فيها الشيء ثقافته العربية الإسلامية"¹.

لقد صور لنا الكاتب عبد الوهاب عيساوي في الرواية المعتقدات الدينية المختلفة والتقاليد وأسماء والشخصيات والمذاهب والأعراف وكل ما كان متعايش على أرض المحروسة ليشكل لنا بناء الهوية الجزائرية، أو هوية أبناء المحروسة بلغة الرواية.

ومن أهم ما يشكل هذه الهوية نجد المذاهب الدينية والمعتقدات السائدة فإذا أمعنا النظر نجد أن على امتداد الرواية صور الروائي الدين عند أبناء المحروسة ولخصه في بعض المعتقدات والخرافات إن صح التعبير ويظهر ذلك في انتظارهم ذلك الطائر وإيمانهم بالإشارات التي كانوا ينتظرونها قبل أخذ أي قرار. فمع حب أبناء المحروسة لدينهم وحبهم لمساجدهم وتعلقهم بها، إلا أن حياتهم لم تخلوا من الخرافات والإيمان الساذج ببعض المعتقدات ويظهر ذلك في زيارة ابن ميار إلى الصريح وأتباعه طائر وانتظار إشارة منه قبل اتخاذ أي قرار " عبرت الشارع ثم انعطفت شرقاً وتجلى لي المسجد الصغير بمئذنته الواطئة ثم دخلته (...). كان الفقراء يفترشون الأرض نائمين فتحت باب الصريح، وتركت حذائي هناك ودخلت متمتما بالدعاء كأني أعتذر إليه عن فراق دام أكثر من شهرين ثم دنوت من ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي (...)"². حتى ابن ميار الرجل المثقف الذي كان يمثل الجزائريين في كل مجلس لا ينفصل من الإيمان بهذه المعتقدات وتعد جزء من تكوين شخصيته: " لكن طيراً متغيراً حلق في سماء القبّة، صفر

1. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص262.

2. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص54.

ورفرف ثم طاف فوق الضريح وغادر عبر خصاص الباب فتبعته (...). رأيت الطائر يعود يخلق فوق رأسي ثم يمضي تجاه الضريح أولت المعنى من رحلته، كان سيدي يريد مني السفر إليهم هناك في باريس¹ ولم يقتصر الإيمان بهذه المعتقدات على ابن ميار فقط، بل نجد شخصية دوجة وهي تسمع لقلقة الطائر أو بكائه وتأويلها أنها إشارة إلى أن أحد الغائبين (ابن ميار، السلاوي) في خطر أو سيحصل شيء سيء.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الممارسات تعتبر منبع القوة والصبر بالنسبة للمتمسكين بها، إلا أن الروائي يريد إشارة إلى نقطة مهمة وهي حول دور السلطة الحاكمة آنذاك في فترة الوجود العثماني من هذه الظاهرة التي سمحت بتفشيها دون رقابة أو توجيه ديني.

فالروائي هنا يريد أن يوضح لنا نوايا الدولة العثمانية من دخولها أراضي الجزائر، فقد كان همها الوحيد هو خيرات الجزائر ونعيمها، أما شعبها ومعتقداته ودينه فهي لا دخل لها فيها، بما أنها ليست أرضها، ومن نتائج ذلك ابتعاد الشعب الجزائري عن تعاليم الدين الإسلامي، وانتشار الانحراف والتظليل والممارسات غير الأخلاقية.

أما الحديث عن الدين لدى أبناء المحروسة فهو مختلف تماما عما سبق ذكره حيث لم يكن الدين مجرد عبادات يؤدونها أو آيات يترلوها بل كان جزء مهم من حياتهم، كان الجانب أكثر حضوراً في تكوين هوياتهم، لقد كان نظام يحكم كل شيء في حياتهم ليس هناك مجال لفصله عن ممارستهم الحياتية، حيث

¹. المصدر نفسه، ص55.

يقول ابن ميار عن ما يراه من هؤلاء الفرنسيين: " لا يفهمون أن نظام الأوقاف كان يسير حياتنا منذ آلاف السنين"¹. كان الدين يدرس في المساجد والزوايا، كما يتضح ذلك على شخصية ابن ميار وهو يتذكر كيف كانت المساجد المحروسة في زمن بني عثمان حيث يقول: " في الماضي كان الطلبة يرددون الآيات ويتغنون بالأذكار يرتفع صوت المدرس يحثهم على المزيد (...). التفت إلى الجامع الكبير انتظرت رؤيتهم هناك مجتمعين يقرءون البخاري، أو يتدارسون مختصر خليل أو رسالة القيرواني، بيد أنه كان خاويا منهم ومن الناس، صار مثل أي مؤسسة فرنسية يفتح ويغلق في أوقات الصلاة المعلومة"².

وهكذا امتدت نظرة الحسرة والأسف إلى ما آل إليه الدين والمساجد والزوايا في عهد الفرنسيين.

ومن جهة أخرى يصور لنا عبد الوهاب عيساوي الدين عند الفرنسيين وأول من بدأ به هو شخصية ديبون الحاملة بنشر تعاليم المسيح ونوره في بقاع الأرض، في إفريقيا حين يقول: " تحركت السفن اتجاه إفريقيا تحمل التعاليم الجديدة التي ستغير الناس، ستكون حتما مثل أولئك الحواريين الذين تفرقوا في بقاع الأرض لنشر كلمة الرب"³.

صور الكاتب الصورة الحاملة لهذه الشخصية التي تعكس جزء كبير من الفرنسيين الذين ينظرون إلى هذا الاستعمار وهذا السطو على أنه ثورة من أجل إعلاء تعاليم دين المسيح، لا من أجل القتل والسلب والنهب وإراقة الدماء التي هي في نظرهم مخالفة لما جاء به المسيح.

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص43.

² المصدر نفسه، ص50.

³ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص52.

كما صور الروائي حسرة دييون إلى ما آلت إليه أحلامه عند وصوله وصور مرجعيته الدينية التي جاء محملاً بها حيث يقول: " أين فرحت المسيح ونوره الذي آمنت به، يوم رحيلي عن مرسيليا مثل حاج يهدف إلى أورشليم؟ أو مثل حوارى يغادر المدينة يخبئ الوصايا تحت ثيابه"¹.

وفى مقابل نجد فى الرواية من يرى أن هذه الأديان والإيمان بها يزيد من سداجة الناس وأن ارتباط الحياة المور بالدين هو ما جعلهم يخضعون لبني عثمان ويرضخون لسلطتهم واستعبادهم حيث يقول كافيار: " كيف جعلتهم التربية الدينية والخنوع للسلطة القاسية على تلك الصورة (...). وعمق الدين من تلك الهوة، كان يدعوهم للرضوخ للحكام وحمل السيوف على المسلحين"².

فى الوقت الذى يرى فيه أبناء المحروسة دينهم وأوقاتهم وموروثهم الذين يفتخرون به ويقدمونه يراه غيرهم من الفرنسيين نقطة ضعفهم وسبب احتقارهم حيث يقول كافيار: " لم أدر ما الفائدة من تشابه هؤلاء المور أو البدو ببني إسرائيل كانوا مجرد أبناء عمومة، اختاروا دين آخر زاد من احتقارهم لهم"³.

ب- التاريخ:

رواية الديوان الإسبرطي رواية تاريخية ترصد الفترة الممتدة بين 1815م إلى غاية 1833م صورت الأحداث المهمة التي أخذ منها المستعمر الفرنسي سببا جوهرى لاحتلال الجزائر، فقد استطاع الروائي بمهارته أن ينقل لنا هذا التاريخ بطريقة خيالية، تعدد الأصوات و الشخصيات، كما نقل لنا الأحداث

¹ نفسه، ص171.

² نفسه، ص260.

³ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص195.

المحلية في الجزائر العاصمة، أو المحروسة المضطربة بين الجزائريين، العثمانيين و الفرنسيون، قراءة ما حدث في تلك الفترة، و كشف المستور و الصامت، و محاولة شرح الحقائق التاريخية و استبانة العوامل المؤدية إليها، و توضيح الأنماط التاريخية التي أدت إلى حدوثها.

وقد جسد الغلاف الخارجي للرواية قضية من أبرز القضايا التاريخية، وهي حادثة المروحة التي وقعت بين الداي حسين والقنصل الفرنسي دوفال.

1- حادثة المروحة:

من خلال تجسيد عبد الوهاب عيساوي للرواية في بداية الغلاف يمكن أخذ هذه الحادثة كمرجعية رئيسية لروايته، وهي النكبة التي سنحت الفرنسيين من دخول الأراضي الجزائرية والتعمير بها، وقد أعطى الكاتب هذه الحادثة قيمة عظيمة في روايته هي حادثة واقعية بين حاكم الجزائر العثماني والقنصل الفرنسي "لما تأخر ملككم في إيفاء الديون، ولماذا لا يجيب على رسائلي العديدة؟ تفوه القنصل بما أدهش الجميع، الملك في باريس لا يلتفت إلى شخص مثلكم.

ولم ينتبه الباشا لنفسه إلا وهو يقف ومن ثم يضرب القنصل بالمروحة التي كانت بيده فهُمَّ القنصل بسل سيفه لكن الحراس قبضوا عليه، قرر الباشا قتله لكنه اكتفى بطرده من مجلسه، خرج القنصل غاضبا، ولبث في إقامته ولم يمض إلا شهر واحد حتى رأينا ربع سفن فرنسية رست في ميناء المحروسة، والتحق بها القنصل في اليوم الموالي، ومن هناك وصلت الرسالة إلى الباشا "عليكم بتحديد عهد الأمان لقنصلنا،

وأرسلوا أعيان المدينة ليعتذروا للقنصل المرابط بالسفينة، وإذا لم يتحقق هذا فليست لكم منا إلا العداوة"¹.

و قد تعمد الكاتب ذكر حادثة المروحة التي كانت سببا في احتلال الجزائر، و قد عاد زمنيا إلى هذه الحادثة متداركا أسباب وقوعها و يشير إلى أن وقوعها فكرة مضمرة، و إن هذه الحادثة ساهمت في نجاح مخططات فرنسا، و كانت ذريعة التي اتخذها الاستدمار للوصول إلى مبتغاه هكذا بقيت هذه الحادثة عالقة في فكر و وجدان الشعب الجزائري، فبعد ما فعلته مع أجدادنا، استمر تأثيرها إلى الأجيال بعدها، انطلاقا من حيث اليهوديات "بوشناق" و "بكري"، اللذان جسدا حقارة أصلهما، فزرعا النميمة بين الدولتين الفرنسية و التركية، يقول "عيساوي" على لسان "السللاوي": "(....) خطر لي أن أنعطف تجاه الغرب، لكنني تذكرت أحياء اليهود، لم أعد أثق بهؤلاء الناس كانوا يقاسموننا الخبز و الملح ثم فجأة بعد دخول الفرنسيين بدأوا يهتفون لهم، الملل الصغيرة دائما تحاول إيجاد مكان لنفسها و لو بالخديعة...."²، فاليهود كانوا أصدقاء للأتراك، لكنهم بمجيء فرنسا أثاروا الفتن من أجل البقاء بمساعدة القنصل "دوفال" الذي لعب الدور ببراعة، و تكمن من إثارة غضب الباشا، و منه سلمت الجزائر على طبق من ذهب، بسبب غياب حس المسؤولية من قبل الدولة العثمانية الحاكمة وتخوفها من القوة الفرنسية، و عدم رغبتها في إثارة المشاكل و الحروب مع فرنسا، فمهما كان الاهتمام التركي بالوضع الجزائري لكن دون أن تواجهها فرنسا صديقتها القديمة منذ عهد سليمان القانوني³.

¹ المصدر نفسه، ص343.

² عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص132.

³ المصدر نفسه، ص53.

2- تجارة العظام:

التجارة بعظام الموتى ونبش القبور واستخدامها في تبييض السكر الفرنسي كان أيضا من الأحداث الواقعية في الرواية " كانت عينا الطبيب تحديقان في كومة العظام أمامه ثم مد يده تستكشف أولها، وما كان في حاجة أن يقلبها كثيرا، بدت من أول وهلة أنها فك إنسان، وضعها جانبا وشرع يخرج العظم تلو الآخر حت أتى على الصناديق كلها عيناه كانت تقولان كل شيء، افترش الأرض وأشار إلى أقرب العظام إليه هذه ساق طفل لم يتجاوز العاشرة، والأخرى تبدوا لشاب وهذه.... أتراها يا ديبون؟ أنها لشيخ أعرفها من انحناءاتها ثم أعادها إلى الصندوق، لينتقل إلى آخر، ومد يده فعادت بجمجمة صغيرة، وفي تلك اللحظة اضطربت، كانت الجمجمة ما تزال تحمل لحما على جوانبها، تعفن وحال إلى السواد، قلبها الطبيب بخيبة في يده" ¹.

من خلال هذا المشهد جسد الروائي وحشية المستعمر الذي انعدمت فيه الإنسانية وتميزه بحب السيطرة والتسلط فقساوة هذا الحدث تحكي مدى شجع وطمع الفرنسيين، فمن عساه يتحمل هذه المشاهد القاسية حتى وإن كانت من مستعمر.

3- مجزرة العوفية سنة 1832م:

فقد جرت هذه المعركة بسهل سطاوالي وبدأ الصراع بين الطرفين، حدث خلالهما بعض الفوضى في الصفوف الفرنسية حيث يذكر الجنرال "بوتيزان" أن قنابل مدفعية الداى أجبرت الجيش الفرنسي على التراجع " إلا أن هذه الفوضى في الصفوف الفرنسية سرعان ما انتهت، حيث نظم "كلوي" صفوف

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص21.

فرقته، و تلى ذلك هجوم معاكس من طرفهم دفعت قوات "الأغا إبراهيم" إلى التراجع إلا أنه تمكن من إعادة الهجوم"¹.

كغيرها من الأمكنة والحوادث الواقعية أدرجت منطقة سطاوالي أو "العوفية" في رواية الديوان الإسبرطي يقول عيساوي: " سطاوالي بقيت بين الخيام، كأني أنبأ قدومهم وأسمع خطواتهم وهم يحيطون بالمعسكر، وتشتعل على النيران، تضيء لهم بزاتهم، أرى في لونها دما يسفك، أنقل بصري بينه وبين الخيام، ولا يتناهى إلى غير عواء الذئاب، كم تشبه تلك الكائنات اليولداش، استشعرت أن الموت ليس بعيدا تشم تدفق الدم الحار وتلهت باحثة عنه عبر الجبال حتى تبلغ سطاوالي"².

ويوضح لنا " عيساوي عقلية الأتراك الذين استوطنوا الجزائر كأهل حامل أجهضت طفلها الغير الشرعي، وهو ما سمح للدولة الفرنسية أن تطأ أرض الجزائر، ولا يخفى علينا ما حدث، فقد سلموا المحروسة للفرنسيين، مستغلين العلاقة التاريخية معهم فكانت عبر التاريخ صديقة لتركيا ولا يمكن لهذه الأخيرة أن تعلن عدائها لفرنسا وهذا الموقف السلبي هو الذي شجع فرنسا في التماذي، وعدم الاعتراف بحق الشعب في استرجاع استقلالته"³ وهو الأمر الذي فضحه الروائي من خلال توظيف شخصيات وأحداث واقعية لها دلالاتها المضمرة.

ت- اللغة:

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار الراكدة، الجزائر، عليمية خاصة 2009، ص38.

2. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص147.

3 المصدر نفسه، ص32.

ولأن اللغة هي شكل من أشكال الهوية كان الاحتلال الفرنسي دائما يركز على اللغة، قليل من هوية الشعب الجزائري وثقافته يجب أن يحل لغة أخرى بدل لغته وهذا ما كان يفعله من خلال تشجيعه على اللغات واللهجات المحلية والعرقية داخل المجتمع الواحد وتهميش اللغة الفصحى وبالتالي تمكين لغة المحتل وتحقيق الهيمنة والاحتلال الثقافي يظهر ذلك في شخصية السلاوي حيث يقول: "وبدأت المدينة تستقطب وجوها جديدة من أمكنة عديدة حملت معظم لهجاتها المختلفة وأضحت المحروسة مبعي كبير وأضحى المزوار أميرا عليه"¹.

وهذا يبين لنا الخطة المدروسة التي كان يتبعها الاحتلال الفرنسي بالتشجيع على اللهجات المحلية "مزيج من الأصوات واللهجات وسوق الكتان"². كانوا يحاولون جاهدين محو اللغة العربية الفصحى والتي كانت غير ملائمة وغير مناسبة من هذا العالم وإحلال محلها اللغة الفرنسية وهي واضحة أيضا في قول كافيوار: "كم تزعجني الأصوات الصارخة بهذه اللغات"³. وهنا تصريح واضح على كرهه للغة أصل المحروسة وللغة التركية على حد سواء.

كما نجد تعدد الألسن أيضا في الرواية مسيطر عليها، وكل هذا عائد إلى تعدد الأجناس التي كانت متعايشة في مدينته المحروسة "و هذا الغزو الثقافي الغربي للبلاد العربية هو نتيجة تفاعلات عدة، من بينها تأثير الاستعمار الغربي للبلاد العربية و الذي ترك أثارا سيئة ترسبت في شكل هيمنة لغوية أثر بشكل مباشر على هوية الانسان الذي ما إن يبدأ في كلام حتى يختلط خطابه اللغوي بلكنات و

¹ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص72.

² المصدر نفسه، ص24.

³ المصدر نفسه، ص262.

لهجات في ديغلويسيا تجعل المتلقي لا يدرك أصل انتماء المخاطب"¹ و هذا ما حصل في مدينة المحروسة التي على طول الرواية تشهد اختلاط اللهجات و الألسن و ذلك نتيجة ما عاشته من وجود أجنبي في البلاد على مر السنين، حتى أضحي الناس يجهلون من ينتمي للمحروسة و من لا و ذلك لإتقانهم اللهجات المختلفة كما هو واضح في الرواية " لغات صارت تجري على اللسان مثلما يتكلمها أهلها الآن لا يجراً أحد على مخاطبتي بلغة يدعي أنني لا أفهمها"².

وهذا هو ما جعل رواية الديوان الإسبرطي تشهد صراع لغوي داخل هذه المدينة كنا نجد الروائي أشار إلى تشكل هوية جديدة أو إلى معركة على الهوية بشكل ضمني، من خلال حديث ابن ميار: " حتى اللغة التي تخاطب بها الناس في الأسواق كتبوا كل مفرداتها في دفاترهم وحفظوا جمل كثيرة وصار منهم من يتكلم بها"³.

وهنا يظهر لنا ما كانت نتيجة الحملة الفرنسية في الجزائر من أجل طمس الهوية الجزائرية وهذا يسميه الجابري بالاختراق " وكلمة الاختراق الثقافي تعني وجود علاقة وحيدة الاتجاه تتجاوز بكثير مفهوم الاسترجاع الذي يعني علاقة تنطلق من التابع إلى المتبوع"⁴.

ث - الثقافة:

1. كمال الدين عطاء، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل، ص138.

2. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص266.

3. المصدر نفسه، ص206.

4. عبد الرزاق بوقطوش، دلالات بعث التاريخ وهاجس الهوية في رواية الديوان الإسبرطي، ص180.

قد حرص "عيساوي" في رواية الديوان الإسبرطي على تقديم شتى العادات و الثقافات المادية و المعنوية، الظاهرة و الباطنية حتى توصل إلى وصف عاطفة المرأة الجزائرية و ما تفعله في المائم، حين يقول: "النساء يكشفن شعورهن ويندين"¹ فالمرأة الجزائرية كغيرها من النساء اللواتي يمتلكن غريزة المشاعر النبيلة و العاطفة المتدفقة ففي الحن و الأحداث المحزنة تلطم المرأة وجهها و لا تبالي بكشف شعرها أمام الملاء و إن كان يتناقى مع العقيدة الإسلامية " أن الحزن و البكاء و اللوعة و الأسى و ندب الميت، كان من مهام النساء، لأن الحزن ينبعث عن النفوس الحساسة، و لا شك أن المرأة أقوى إحساسا و أشد حزنا و أرق و عاطفة و شعورا من الرجل و أكثر جزعا و أعظم لوعة"².

يقول عيساوي: "..... كان يلبس معظفا مطرزا بالذهب حتى أزراه بالمعدن نفسه وسروالا قصيرا وعمامة أكبر حجما..."³ يصور لنا هذا المقطع السردى اللباس التقليدى التركى، وكيف يعيش الباشا على أرض الجزائر متمتعا بخيراتهما، على حساب الشعب الجزائري الذي سلبوه حقوقه، فالأتراك كانوا مسلمين لكن طبائعهم ليست متعلقة بديانتهم إنما يعرفهم.... كبرياؤهم لا حدود له.

1. المصدر نفسه ، ص66.

2. سعيد بوفلاقة شعر الصحابة، دراسة موضوعية قليلة، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر دامله 2007، ص من 121-122.

3. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص43.

الخاتمة:

الخاتمة:

بعد المعالجة البحثية للعناصر المقترحة في مذكرتنا توصلنا إلى استخلاص بعض النتائج نذكر منها ما

يلي:

- (1)- الهوية من المواضيع التي نالت الحظ الوفير للدراسة.
- (2)- انشغال الأعمال الروائية بموضوع الهوية بشكل لافت وارتباطها بتحليل الحوادث الواقعية التي هي على اتصال بالهوية الجماعية من خلال ملامسة الواقع.
- (3)- تتمحور أبعاد الهوية في ثلاث: البعد الديني، البعد الثقافي، البعد اللغوي، البعد التاريخي، وتشكل هذه العناصر مرجعية الأمة الواحدة.
- (4)- تعتبر الرواية الجنس الأدبي القادر على رصد صور التفاعل الثقافي من بينهم صراع الهوية.
- (5)- تتحدث الرواية عن فترة تاريخ الجزائر عالجت أوضاع تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية مما دفع الروائي إلى تقديم شخصيات تاريخية مهمة والتي قدمت بدورها صور من أرشيف وهوية الجزائر التاريخي.
- (6)- تجسد أبعاد الهوية وإشكالاتها في تفاعل الأحداث وآراء الشخصيات ومواقفها من قضايا.

الملحق:

ملخص الرواية:

"الديوان الإسبرطي" رواية تاريخية تدور أحداثها ما بين 1815-1833 تكشف الفترة التاريخية الممتدة من هزيمة نابليون بونابارت في معركة "واترلو" الشهيرة إلى انتهاء اللجنة الفرنسية من أعمال التفتيش في الجزائر، ما تخلل تلك الفترة من الاحتلال للجزائر.

يقوم الكاتب فيها بتصوير أحداث فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، أي تلك الفترة التي تزامنت بين نهايات التواجد العثماني بالجزائر، وبدايات الاحتلال الفرنسي.

الديوان الإسبرطي نص أدبي جميل للغاية، استخدم كاتبه محطات تاريخية مهمة ومفصلية في كينونة المحروسة "الجزائر" والعاصمة حالياً، استطاع الكاتب من خلال الرواية طرح عديد الأسئلة التي تبقى حتى اليوم تبحث عن أجوبة وتتكرر كثيراً من جيل إلى جيل، الأسئلة في مجملها تنبش التاريخ وتضع الحضور العثماني مقابل الحضور الفرنسي دون أن تعطيك الأجوبة عن التطابق والحضور. يؤكد السرد فيما بعد على دخول الحملة الفرنسية على الجزائر، وما سبقها من أحداث كان أبرزها حادثة المروحة، والتي استغلتها الدولة الفرنسية كذريعة لاحتلال الجزائر ادعاء يرد اعتبار لقنصلها الذي أهين من طرف داي الجزائر، وقد استعان الكاتب في ذلك بجريدة "لو سيمافور دو مرساي" الفرنسية كوسيلة لنقل الأحداث.

إن اللافق في بنية هذه الرواية هو نظامها الهندسي المتقن، بحيث تتكون من خمس فصول، كل فصل يتكون من خمس أقسام، يتولى السرد في كل قسم شخصية رئيسية، ليحتفظ الكاتب بذات التركيب على مدار العمل.

وتأتي نهاية الرواية مفتوحة على كل الاحتمالات وتحمل معها رمزيات متعددة بعيدة عن مواطن الدهشة الغرائبية، وهو ما جعل الكاتب ينأى بنفسه عن الاصطفااف وتغيب جانب على الأخر.

**قائمة المصادر
والمراجع:**

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.

المراجع:

المعاجم:

1= إبراهيم مصطفى حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1،

المكتبة الإسلامية للطباعة، والنشر والتوزيع، إسطنبول.

2= ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ط3.

3= ابن منظور، لسان العرب، مادة (ه.وي)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

4= الجرجاني، التعريفات، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب الغربي.

5= الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، لبنان،

ج2، ط1، 2003.

6= مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

7= المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ط40، 2009.

المراجع اللغة العربية:

- 1=إبراهيم لطيفة خضر: هويتنا إلى أين؟ ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2009.
- 2=أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار الراكدة، الجزائر، عليمه خاصة 2009
- 3=أحمد أبو سعد، فن القصة، ج1، منشورات دار الشرق الجديدة، 1959.
- 4=بن عبد الله محمد، سيكولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- 5=بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981، الجزائر.
- 6=بوبكر جيلالي، اللغة والهوية والعولمة، معركة المفاهيم، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس...والنقد.... والمستقبل.
- 7=جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، مؤسسة السماح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2013م.
- 8=حسن الوراكلي، المسلمون وأسئلة الهوية، جمعية البعث الإسلامي، تطورات، 2000.
- 9=حسن عنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.
- 10=رمزي منير بلعكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العرب، إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث م دراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2013.

- 11= سعيد بوفلاحة شعر الصحابة، دراسة موضوعية قليلة، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر دامله 2007.
- 12=الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس 2004.
- 13=صائب عبد الحميد، الدين والهوية وسؤال التغيير، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس.... والنقد.... والمستقبل.
- 13=عائشة لصلح، الشبكات الاجتماعية والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب، ضمن كتاب السؤال عن الهوية في التأسيس.... والنقد،.... والمستقبل.
- 14=عباس الجارري، هويتنا والعولمة، النادي الجارري، الرباط، المغرب، (د،ط)، 2012.
- 15=عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجوائز العام، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 16=عبد الرحمان بسبسو، الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية، وزارة الثقافة، غزة، أبريل، 2005.
- 17=عبد الرزاق بوقطوش: دلالات بعث التاريخ وهاجس الهوية في رواية الديوان الإسبرطي، لعبد الوهاب العيساوي، جامعة أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2020.
- 18=عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، جويلية، 2012.

19=عبد الغفار رشاد، الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، القاهرة، مكتبة الآداب،2003.

20=عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د،ط)،2009.

21=عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) (د.ب) (د.ت).

22=عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام الإسكندرية، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

23=عبير سبيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة، وبروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

24=عزيز العظمة وآخرون، مفاهيم علمية للهوية، تر عبد القادر، فتبيلي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005.

25=علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، ص36، نقلا عن أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 1987.

26=فيصل الأحمر، الدليل السيميولوجي، دار الألفية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011.

27=كريم زكي حسام الدين، اللغة والثقافة، دراسة لنشر ولغوية الألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 2001.

28=كمال الدين عطاء، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل.

29=ماجدة حمود، إشكالية الأناة الأخر (نماذج روائية عربية) عالم المعرفة، دولة الكويت، د.ط، 2013.

30=مالك بن نبي، مشكلة الهوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 2000.

31=مالك عبید أبو شهيو، محمود محمد خلف، الإيديولوجية والسياسة، ط2، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1993.

32=محمد الذواذي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، دار الكتاب الجديدة المتحف، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

33=محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، سوق عكاظ، 1991.

34=محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية، قضايا اللسان والهوية، دار تالة، الأبيار الجزائر، د.ط.د.ن.

35=محمد حسن غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989.

36=محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

37=محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للطباعة والنشر، مصر، ط1 2009.

38=محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.

39=محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.

40=مراد زعيمي: الثقافة والعولمة بين التكيف والفاعل، في الجزائر والعولمة، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر 2001.

41=نبيل محمد توفيق السمالوطي، الدين والبناء العائلي، دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة السعودية، ط1، 1981.

المراجع المترجمة:

1= أليكس ميكشيللي: الهوية، تر على وطفه، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، سنة 1993.

2= بيتر كوزان (Peter Cozen)، البحث عن الهوية وتشتتها في إريك إيركسون وأعماله، ترجمة سامر جميل رضوان، د.ط، دار الكتاب الجامعي، العين، دولة الإمارات المتحدة، 2010.

3= جيار جنين، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر، محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

4= ميخائيل باختين: الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم: جمال شحيد: كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982.

المجلات:

1= أمين الزاوي، اليسارية في الرواية الجزائرية الملحق الثقافي، لجريدة الخبر الجزائرية، 6 جانفي 2005.

2= بن علي لونيس، هكذا تكلم مالك حداد، ما معنى أن تكتب بلغة الأخر، مجلة مسارات مجلة فصلية تصدر عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة، العدد 03، 2014.

3=تائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، بحث في تأثير العولمة والانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، كلية الآداب جامعة القادسية، بغداد، العراق، ع1، مج،2009.

4=حمد فيصل يغان، الهوية والتاريخ والأخر فرادة في الرواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، مجلة عود الند، العدد71، 25أفريل 2012، منشور في الموقع الإلكتروني htt p://www.oud-nd.com/numeros/71/11561117768111561/sp.p.ph?acticle338، الساعة 16:18.

5=سعاد بضياف ولبوخ بوجملين، أثارالهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الأثر، العدد25، جوان 2016.

6=سعدية بن دنيا، الهوية الدينية وسؤال الاختلاف، جامعة مستغانم الجزائر، العدد الرابع، سبتمبر2017.

7=الشريف كرمة، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 6، جوان 2006.

8=عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد8، ماي، جوان1972.

- 9= عز الدين صحراوي: اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد حيضر بسكرة، العدد الخامس، جوان 2009.
- 10= في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد شعبان، 1998 عدد 240.
- 11= فيصل الحفيان، اللغة والهوية واشكالات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التسامح، العدد الخامس.
- 12= محفوظ رموم، رؤية تاريخية استشرافية لظاهرة العنف في الجزائر.
- 13= معمرى أحلام، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، العدد 20، جوان 2014.
- 14= مفقودة صالح: أبحاث في الرواية العربية (د.ط)، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي جامعة محمد خيضر، بسكرة.

الأطروحات:

- 1= خليف هوارية تمثلات الهوية والأخر في الرواية الجزائرية، أطروحة الدكتوراه، تخ، الرواية المغاربية والنقد الجديد، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018م.
- 2= عامر البغدادي، الإشكاليات المطروحة حول الهوية الوطنية، على الموقع، الإشكاليات المطروحة حول الهوية الوطنية [./Sawtalahrar.net/index.php](http://Sawtalahrar.net/index.php)

3=مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات عنان كنفاني، رسالة دكتوراه، إشراف جمال مباركي،

جامعة بسكرة، 2017، 2016.

الفهرس:

المقدمة:	ب
المدخل: الرواية الجزائرية الحديثة: النشأة والتطور	1
1. تعريف الرواية	2
2. نشأة الرواية الجزائرية المعاصرة	4
أ- الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية	6
ب- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	7
3. تطور الرواية الجزائرية المعاصرة	9
أ- الرواية الجزائرية ما قبل الاستقلال	9
ب- الرواية الجزائرية ما بعد الاستقلال	11
الفصل الأول: إشكالية الهوية في الرواية الجزائرية	11
1. الهوية والماهية والاصطلاح	16
أ- اللغة	16
ب- اصطلاحًا	17
2. الهوية الجزائرية وتعدد المكونات	20
أ- مكون اللغة	21
ب- مسألة الدين	23
ت- عنصر الثقافة	25
ث- مرجعية التاريخ	27
3. حضور الهوية في الرواية الجزائرية	29
4. أبعاد الهوية في الرواية الجزائرية الحديثة	34

34.....	البعد الديني	أ-
37.....	البعد الثقافي	ب-
42.....	البعد اللغوي	ت-
31.....	الفصل الثاني: صراع الهوية في ديوان الإسبرطي	
46.....	1. الديوان الإسبرطي وملامح الهوية	
47.....	الزمن	أ-
50.....	المكان	ب-
54.....	الشخصيات	ت-
59.....	2. خصائص الهوية في رواية الديوان الإسبرطي	
60.....	الدين	أ-
65.....	التاريخ	ب-
69.....	اللغة	ت-
71.....	الثقافة	ث-
74.....	الخاتمة	
75.....	ملحق	
79.....	المصادر والمراجع	

يسعي هذا البحث إلى الكشف عن صراع الهوية من خلال رواية "الديوان الإسبرطي" للروائي الجزائري عبد الوهاب عيساوي و لقد شكلت الهوية للمجتمعات البشرية عبر التاريخ قضية أساسية محورية فكانت ميزة للمجتمعات البشرية، وكذلك في الرواية الجزائرية مثلت الهوية جوهر الموضوع و يؤر الصراع الداخلي للعمل الروائي، فكان هناك ربط مباشر بين الواقع الديني والثقافي واللغوي، ومن خلال هذه الدراسة وجدنا نوع من الإشكالية المتصلة بالهوية تعيشها الرواية الجزائرية، حيث الروائي "عبد الوهاب عيساوي" يعلج خصائص الهوية الجزائرية المسيطرة على المشهد الواقعي و حضور الموت في الرواية الجزائرية كان متصلا بمحاصل الواقع المرزي الذي تعيشه الفئة البسيطة من الناس، كما عبر عن مجريات سياسية واجتماعية ودينية.

s

الكلمات المفتاحية:

الرواية، الهوية، الصراع.

Abstract:

This research aims to explore the struggle of identity through the novel "The Spartans' Debts" by Algerian writer Abdelwahab Aïssawi. Identity has been a central issue for human societies throughout history and has shaped their characteristics. In Algerian literature, identity represents the essence of the community and the core conflict in literary works. There is a direct link between religious, cultural, and linguistic realities. Through this study, we delve into the problematic aspects related to identity in Algerian novels. The writer Abdelwahab Aïssaoui addresses the dominant features of Algerian identity that prevail in the real scene and the eras of death in Algerian literature. He is connected to the dismal reality experienced by the lower class of people and portrays political, social, and religious dynamics

key words:

Novel, identity, conflict.

Abstrait:

Cette recherche vise à explorer la lutte identitaire à travers le roman "Les Dettes des Spartiates" de l'écrivain algérien Abdelwahab Aïssawi. L'identité a été une question centrale pour les sociétés humaines à travers l'histoire et a façonné leurs caractéristiques. Dans la littérature algérienne, l'identité représente l'essence de la communauté et le cœur du conflit dans les œuvres littéraires. Il existe un lien direct entre les réalités religieuses, culturelles et linguistiques. A travers cette étude, nous approfondissons les aspects problématiques liés à l'identité dans les romans algériens. L'écrivain Abdelwahab Aïssaoui aborde les traits dominants de l'identité algérienne qui prévalent dans la scène réelle et les époques de la mort dans la littérature algérienne. Il est connecté à la triste réalité vécue par la classe inférieure et dépeint les dynamiques politiques, sociales et religieuses.

mots clés:

Roman, identité, conflit.

